مُختَصَر

البُرهَان

في علُوم القُرآن

مؤلف

الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

البرهان المختصر
(مقدمة)
البرهان في علوم القرآن

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، لقدبعث الله سبحانه وتعالى إلى هذه الدنيا نبينا محمداً على فترة من الرسل، وضلال من الناس، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى الرخاء – وخاتم الأنبياء وصاحب الحوض الأكبر الرواء، وصاحب الشفاء العظمى يوم القيامة، وسلم وأعلى تشريف وتكريم، ورضي الله عن جميع أصحابه الكرام، خلاصة العالم بعد الأنبياء.

وبعد، فإن من عظيم لطف الله بعباده، أن هيأ لهذه الأمة في مختلف العصور علماء عاملين ومحققين ومخلصين، وقفوا حياتهم على خدمة تفاسير القرآن، وفي علوم القرآن، والشريعة ونشرها بين الناس تعليماً وتأليفاً.

كان من هؤلاء العلماء شيخ الإمام بدر الدِّين محمد بن عبد الله الزركشي، نجموا بمصر في القرن الثامن؛ وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد؛ وأيضاً علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدِّين.

وُلِدَ بالقاهرة سنة 745 هجرية، كانت معمورة بالمدارس، غاصة بالفضلاء وحملة العلم، فقد ألَّف كتباً كثيرة نافعة في موضوعات مختلفة، ومنها كتاب «البرهان». معيناً للمفسر على حقائقه، ومطلعاً على بعض أسراره ودقائقه، وسمَّيتُهُ: «البرهان في علوم القرآن». فهرست أنواعه وكلِّ نوع على أُصوله، والرَّمز إلى بعض فصوله:

فهرست أنواعه

الثامن والعشرون : هل في القرآن شيء أفضل من شيء.
التاسع والعشرون : في آداب تلاوته.
الثلاثون : في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن.
الحادي والثلاثون : معرفة الأمثال الكائنة فيه.
الثاني والثلاثون : معرفة أحكامه.
الثالث والثلاثون : في معرفة جدله.
الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه.
الخامس والثلاثون : معرفة توهم المختلف.
السادس والثلاثون : في معرفة المحكم من المتشابه.
السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات. الواردة في الصفات.
الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه.
التاسع والثلاثون : معرفة وجوب تواتره.
الأربعون : في بيان معاضدة السنة للكتاب.
الحادي والأربعون : معرفة تفسيره.
الثاني والأربعون : معرفة وجوب المخاطبات.
الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه.
الرابع والأربعون : في الكناية والتعريض.
الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام.
السادس والأربعون : في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن.
السابع والأربعون : في معرفة الأدوات.

واعلم أنه ما مِنْ نوع من هذه الأنواع إلَّا ولو أَراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من ؛ فإنّ الصناعة طويلة والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان لتقصير.

هذا آخر كلام الزركشي في خطبته.

فإني أُحَدِّث نفسي، وأحد من الطُّلاب والدارسين كتب تفاسير وعلوم

القرآن، ونويت تجميع ملاحظات هذا الكتاب النادر، وأختصره اختصاراً أجل الإفادة، ونفعاً للدارسين، وانتشار بين الخاص والعام القارئين الكرام، القرآن وعلوم القرآن، ولكن قبل تقديمي على هذا العمل، أُذَكِّر نفسي قول المؤلف في مقدمته كتابه «فإن الصناعة طويلة، والعمر قصير؛ وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير!».

والله نسأل أن يجعل النفع به دائماً مُتَّصلاً بكتابه الكريم، وقرآته المجيد. ومن الله التوفيق

طالب علم أبو طاهر الهاشمي
من ذرية شيخ عبدالرشيد حقاني رحمة الله عليه
مخدوم رشيد – ملتان - خُلفائي - باكستان (المقيم الكويت)

البرهان في علوم القرآن

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

وقال الشافعي رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شرح للسُّنَّة، وجميع السُّنَّة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وكما أنه أفضل من كل كلام سواه فعلومه أفضل من كل علم عداه.

قال تعالى: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ١٩﴾ [الرعد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال سفيان بن سعيد الكوفي: «لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام (يعني أشياء فانية) في قلب مؤمن أبداً». وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيله (يعني غار) سواه.

وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم علماء: كل منهم مخصوص بنوع من العلم كعليّ رضي الله تعالى عنه بالقضاء، وزيد بالفرائض، ومعاذ بالحلال والحرام، وأُبَي بالقراءة. فلم يُسَمَّ أحد منهم بحراً إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل. وقال فيه علي بن أبي طالب وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد جبير وغيرهما.

ثم جاء بعدهم طبقة فطبقة، فجدّوا واجتهدُوا؛ وكلٌّ ينفق مما رزق الله؛ ولهذا كان سهل بن عبد الله يقول: لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن أَلْفُ فَهْمٍ لَمْ يَبلُغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام

الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه؛ وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فَهْمِهِ فُهُوم محدثة مخلوقة.

فصل
[في علم التفسير]

التفسير علم يعرف به فَهْمُ كتاب الله المُنَزَّل على نبيه محمد وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمدادُ (مدد) ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

واعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير - لما سنذكر، بعد تقرير قاعدة؛ وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفة أدّل على المراد فيحتاج الشارح الى بيان و غرض المصنف و ترجيعه.

وإذا عُلِمَ هذا، فنقول: إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، من سؤالهم النبي في الأكثر، كسؤالهم لما نزل ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. فقالوا: أَيُّنا لم يظلم نفسه! ففسره النبي بالشرك واستدل عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك (قدرت عقليه) أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير.

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة (مختصر) وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغني عن قانون عام

يعـوّل (إسـتعانه) في تفسـيره عليـه، ويرجـع في تفسـيره إليـه مـن معرفـة مفـردات ألفاظـه ومركباتهـا وسـياقه، وظـاهره وباطنـه، وغـير ذلـك ممـا لا يدخل تحت الوهم، وبدق (دقيق) عنه الفهم. وفى هذا تتفاوت الأذهان، وتتسابق في النظر إليه مسابقة الذهان فمن سابق بفهمه.

[في علوم القرآن]

قال وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام توحيد وتذكير وأحكام:

1 - فالتوحيد: تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.
2 - والتـذكير: ومنـه الوعـد والوعيـد والجنـة والنـار وتصـفية الظـاهر والباطن.
3 - والأحكـام: ومنهـا التكـاليف كلهـا وتبيـين المنـافع والمضـار والأمـر والنهي والندب.

القـرآن يشـتمل عـلى أربعـة أنـواع مـن العلـوم: أمـر، ونـهي، وخـبر، واستخبار. وقيل) ستة وزاد الوعد والوعيد.

النوع الأول
معرفة أسباب النزول

بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز؛ وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف (احاطه) بالقضايا.

فإن محـل السـبب لا يجـوز إخراجـه بالاجتهـاد والإجمـاع، كمـا حكـاه

القاضي أبو بكر في «مختصر التقريب» لأن دخول السبب قطعي.

وقد جاءت آيات في مواضع اتفقوا على تعديتها (تعدي و تجاوز) إلى غير أسبابها؛ كنزول آية الظهار [المجادلة: 1 - 4] هوأوس بن الصامت، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية [النور: 6]، ونزول حد القذف [النور: 4] في رماة عائشة رضي الله عنها، ثم تعدى إلى غيرهم، وإن كان قد قال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ [النور: ٤]. فجمعها مع غيرها إما تعظيما لها إذ أنها أم المؤمنين - ومن رمى أم قوم فقد رماهم فتعدى الحكم إلى من سواهم.

والزمان: لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول، ولا يشترط في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾ [البقرة: ١١٥]، فإنا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع؛ فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها؛ وذلك أنها نزلت لما صلى النبي على راحلته؛ وهو مستقبل من مكة إلى المدينة؛ حيث توجهت به، فعلم أن هذا هو المراد.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، فإن سبب نزولها أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد؛ فمنعهم أزواجهم وأولادهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم أنزل في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة فقال: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [التغابن: ١٤].

فصل
فيما نزل مكرراً

وقد يُنزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة وأخرى بالمدينة، وكما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، طرفا النهار: «الصبح في أول النهار، والظهر والعصر»، وزلفا من الليل: يعني المغرب والعشاء. فقال الرجل: إليَّ هذا؟ فقال: بل لجميع أُمتي، فهذا كان في المدينة وسورة هود مكية بالاتفاق؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا، ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة.

ومثله ما في الصحيحين عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: ٨٥]. أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة، ومعلوم أن هذه في سورة ﴿سُبۡحَانَ﴾ وهي مكية بالاتفاق.

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة؛ ليُنبِّه على أن العبرة بعموم اللفظ. وقال الزمخشري في نفس سورة الهمزة: يجوز أن يكون السبب خاصاً، والوعيد عاماً.

[تقدم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: ١٤]. فإنه يستدل بها على زكاة الفطر.

روى البيهقي بسنده إلى ابن عمر أنها نزلت في زكاة رمضان، ثم أسند

مرفوعاً نحوه. وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؟! لأن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة.

وأجاب البغوي في تفسيره انه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ [البلد: ١ - ٢]؛ فالسورة مكية، وظهور أثر الحل (بمعنى قتال حلال لك) يوم فتح مكة، حتى قال عليه السلام: «أحلت لي ساعة من نهار».

* * *

النوع الثاني
معرفة المناسبات (موافقه) بين الآيات

المناسبة في اللغة المقاربة (قرابه-ارتباط) ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة، **ومنه المناسبة في العلة في باب القياس وقيل المناسبة أمر معقول**، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي. أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني؛ كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه. أو التلازم الخارجي؛ كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.

فإن القرآن نزل في نَيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض قوله تعالي ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (نُظِمَت و فُرِقَت في التنزيل) [هود: ١]

وإذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد. فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥ ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿الحمد﴾ أيضاً، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ٥٤ ﴾ [سبأ: ٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٥ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة؛ فذكر هنا في مقابلة البخل: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ ﴾ [الكوثر: ١]، أي الكثير. وفى مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾، أي: دُمْ عليها.

وفي مقابلـة الريـاء ﴿لِرَبِّـكَ﴾، أي: لرضـاه، لا للنـاس. وفي مقابلـة منـع الماعون: ﴿وَانْحَـرْ﴾، وأراد بـه التصـدق بلحـم الأضـاحي؛ فـاعتبر هـذه المناسبة العجيبة.

وكـذلك مناسـبة فاتحـة سـورة الإسراء بالتسـبيح، وسـورة الكهـف بالتحميد؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد؛ يقال سبحان الله والحمد لله.

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عُدنا إلى ذكر ارتباط (اتصال-تداخل) الآي بعضها ببعض فنقول:

ذكـر الآيـة بعـد الأُخـرى؛ إمـا أن يظهـر الارتبـاط بينهمـا لتعلّـق الكلام بعضه ببعض.

وإما ألا يظهر الارتباط؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى. فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم؛

أولا:
القسـم الأول: أن تكـون معطوفـة؛ ولا بـد أن تكـون بينهمـا جهـة جامعة على ما سبق تقسيمه؛ كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِـجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَـا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِـنَ ٱلسَّـمَآءِ وَمَـا يَعْـرُجُ فِيهَـا ﴾ [سبأ: ٢، والحديد: 4]. وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜـطُ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين.

وقـد تكـون العلاقـة بينهمـا المضـادة (تضـاد-معـاكس-ضـد)؛ وهـذا كمناسـبة ذكـر الرحمـة بعـد ذكـر العـذاب، والرغبـة بعـد الرهبـة، وعـادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه؛ ليُعلم عظم الآمر والناهي، وتأمّل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك.

وقـد تـأتي الجملـة معطوفـة عـلى مـا قبلهـا، ويُشـكل وجـه الارتبـاط؛

فتحتاج إلى شرح؛ ونذكر من ذلك صوراً يلتحق بها ما هو في معناها:

فمنها قوله تعالى: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب.كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها: معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة، ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم، مما ليس من البر في شيء، وأنتم تحسبونها براً.

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلّص (نبذ-نجامن-بريُ من)، ومن أحسن أمثلته قوله تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٥].

في هذه الآية خمس تخلصات: وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه، ثم التخلص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء.

فصل
[في اتصال اللفظ والمعنى على خلاف]

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣]. فقوله: ﴿ كَأَن لَّمْ

تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ ﴾ منظوم بقوله: ﴿قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ [النساء: ٧٢]؛ لأنه موضع الشماتة، وقوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ **كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ** ٦﴾ [الأنفال: ٥ - ٦].

* * *

النوع الثالث
معرفة الفواصل ورءوس الآي

فواصل= جمع فاصل و فاصله (مُفَرِق و حاجِز - Separating)

الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع(اثناءالحديث)، يقع بها إفهام المعاني.

الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكل رأس أية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية؛ فالفاصلة تعم [تشمل] النوعين.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان؛ وذلك أن آخر آية فصل بينها وبين ما بعدها.

فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُـهُۥ﴾ [فصلت: ٣]. وأما تجنب أسجاع (كلام مُقَفّى)؛ فلأن أصله من سجع الطير، فَشُرّف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر (زينةالكلام)، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى؛ ثم فرقوا بينهما، فقالوا: السجع هو الذي يُقصد في نفسه، ثم يحيل (نشاط) المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها.

[إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد (تسلسل) متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق (نظم) الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع:

أحدها: زيادة حرف لأجلها: ولهذا ألحقت الألف بـ (الظنون) في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ [الأحزاب: ١٠]؛ لأن مقاطع فواصل هذه

السورة ألفات «جمع ألف» منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل، ومثله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

قال: وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين، واستواء الظاهر والباطن، بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك، وكذلك لحاق هاء السكت في قوله: ﴿مَا هِيَهۡ﴾ في سورة القارعة 10، هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة.

وعلى هذا والله أعلم - ينبغي أن يحمل لحاق النون في المواضع التي قد تكلم في لحاق النون إياها، نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

فإن من مآخذ الفصاحة ومذاهبها أن يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأنحاء للآي، راجح الأصالة في الفصاحة، لتكون فواصل السور الوارد فيها ذلك قد استوثق فيما قبل حروفها المتطرفة (يتجاوز حد الاعتدال)، وقوع حرفي المد واللين.

وقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، وهو طور سيناء؛ لقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]، كرر «لعل» مراعاة لفواصل الآي؛ إذ لو جاء على الأصل لقال: لعلي أرجع إلى الناس فيعلموا، بحذف النون على الجواب.

الثاني: حذف همزة أو حرف اطرادا (تتابع-تسلسل) كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤].

الثالث: الجمع بين المجرورات وبذلك يجاب عن سؤال في قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾ [الإسراء: ٦٩]، فإنه قد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة وهى اللام في: ﴿ لَكُمْ﴾ والباء في ﴿بِهِ﴾ وعلى في ﴿عَلَيْنَا﴾ وكان الأحسن الفصل.

وجوابه أن تأخر ﴿تَبِيعًا﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩﴾، فإن فواصلها كلها منصوبة ومنوَّنة، فلم يكن بدٌّ من تأخير قوله: ﴿تَبِيعًا﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة.

الرابع: تأخير ما أصله أن يقدم كقوله تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧]؛ لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن أخَّر الفاعل، وهو ﴿موسى﴾ لأجل رعاية الفاصلة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ٤١﴾ [القمر: ٤١]؛ فأخَّر الفاعل لأجل الفاصلة، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ٣] أخَّر الفعل عن المفعول فيها، وقدمه فيما قبلها في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لتوافق [رءوس] الآي. قدم المفعول للاختصاص.

الخامس: صرف ما أصله ألا ينصرف؛ كقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَاْ ١٥ قَوَارِيرَاْ﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦]، صرف الأول ﴿قَوَارِيرا ه ١٥﴾؛ لأنه آخر الآية، وآخر الثاني ﴿قَوَارِيرا ... ١٦﴾ بالألف، فَحَسَنَ جعله منوناً ليقلب تنوينه ألفاً، فيتناسب مع بقية الآي؛ كقوله تعالى: ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا﴾ [الإنسان: ٤]، فإن ﴿سَلَاسِلَا﴾ لما نظم إلى: ﴿وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ [الإنسان: ٤]، صُرف ونُوِّن للتناسب. وبقي ﴿قَوَارِيرًا﴾ الثاني؛ فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز

صرفه؛ لأنه لما نُوِّن ﴿قَوَارِيرًا﴾ الأول ناسب أن ينوِّن ﴿قَوَارِيرًا﴾ الثاني ليتناسبا؛ لأن ﴿سَلَاسِلَا﴾ ليس رأس آية، ولا ﴿قواريرا﴾ الثاني رأس آية، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها .

السادس: إمالة (عطف-حنى) ما أصله ألا يمال؛ كإمالة ألف: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [الضحى: ١ - ٢]، ليشاكل التلفُّظ بهما التلفُّظ بما بعدهما.

والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء، والغرض الأصلي منها هو التناسب، وعبَّر عنه بعضُهم بقوله: الإمالة للإمالة، وقد يُمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخرهِ؛ كألف «تَلَا» في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس: ٢]، فأُمِيلت ألف ﴿تَلَىٰهَا﴾ ليشاكل اللفظ بها، اللفظ الذي بعدها، مما أَلِفهُ غير ياء، نحو: ﴿جَلَّىٰهَا﴾ و﴿غَشَىٰهَا﴾.

فإن قيل: هَلَا جعلت إمالة ﴿تَلَىٰهَا﴾ لمناسبة ما قبلها، أعني ﴿ضُحَىٰهَا﴾. قيل: لأن ألف ﴿ضُحَىٰهَا﴾ عن واو، وإنما أميل لمناسبة ما بعده.

السابع: العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال كقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة: ٨٧]، حيث لم يقل: «وفريقاً قتلتم» كما سوى بينهما في سورة الأحزاب فقال: ﴿فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وذلك لأجل أنها هنا رأس آية.

تفريعات(فرع)
[ختم مقاطع الفواصل بحروف المَدِّ واللِّين]

الأول: قد كَثُر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المَد واللِّين، وإلحاق النُّون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك. أما إذا ترنموا فإنهم يُلحقون الألف والواو والياء: [ما ينون، وما لا ينون]؛ لأنهم أرادوا مد الصوت، وإذا أنشدوا ولم يترنموا؛ فأهل الحجاز

يدعون القوافي على حالها في الترنم، وناس من بني تميم يبدلون مكان المدة النون. وجاء القرآن على أعذب (منعه) مقطع وأسهل موقف.

[مبنى الفواصل على الوقف]

الثاني: إن مبنى الفواصل على الوقف ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنوَّن، ومنه قوله **تعالى:** ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾ [الصافات: ١١]. **مع تقدم قول** ﴿عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾ [الصافات: ٩]، و﴿شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصافات: ١٠]، **وكذا** ﴿بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾ [القمر: ١١]، و﴿قَدۡ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢]، **وكذا** ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١]، **مع** ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: ١٢].

[تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف]

الثالث: أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع، وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، وهذا لا يكون سجعاً ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين؛ فالقسم الأول هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان، والثاني هو المذموم؛ فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة.

وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة.

مثال المتماثلة قوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥﴾ [الطور: 1 - ٥].

وقوله تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

ٱسۡتَوَىٰ٥﴾ [طه: ١ - ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا٥﴾ [العاديات: ١ - ٥].

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ٤﴾ [سورة الفاتحة].

وقوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ٢﴾ [ق: ١ - ٢].

وهذا لا يُسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن؛ لأن السجع ما تماثلت حروفه.

إذا علمت، هذا فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين؛ بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة.

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف]

الرابع: قسم البديعيون السجع والفواصل أيضا إلى متوازٍ ومطرف. ومتوازن: زيادة يقتضيها السياق، وأشرفها المتوازي، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ١٤﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٤]، وقوله: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٤٩].

والمطرف أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن؛ كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا١٤﴾ [نوح: ١٣ - ١٤].

والمتوازن: أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط، كقوله تعالى:

﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾ [الغاشية: ١٥ - ١٦].

فجمع في فواصلها بين «شديد» و«قريب» و«بعيد» و«عزيز» و«نصيب» و«أليم» و«كبير» على هذا الترتيب. وهو في القرآن كثير، وفي المفصل خاصة في قصاره «قصارى القول».

قالوا: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، ليكون شبيها بالشعر فإن أبياته متساوية؛ كقوله تعالى: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٠].

ثم ما طالت «طويلاً» قرينته الثانية؛ كقوله : ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم: ١ - ٢]، أو الثالثة؛ كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

وهو : إما قصير كقوله : ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢﴾ [المرسلات: ١ - ٢].

أو طويل كقوله: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤﴾ [الأنفال: ٤٣ - ٤٤].

أو متوسط كقوله : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾ [القمر: ١ - ٢].

هذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ٢٦ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ٢٧﴾ [السجدة: ٢٦ - ٢٧]؛ فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، ولم يقل «أولم يروا» وقال بعد ذكر الموعظة: ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع، أو أخبار القرون، وهو كما يُسْمَع وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾. وقال بعدها: ﴿أفلا يبصرون﴾؛ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي.

فصل

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها وذلك في مواضع

في أوائل النحل [الآية 3 – 4]، الله سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [النحل: ٣].

ثم ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [النحل: ٤]. وفي الآيات [10 – 11]، وأشار إلى عجائب الحيوان فقال: ﴿وَالأَنْعَامِ﴾، ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ١١ ﴾ [النحل: ١٠ - ١١].

فجعل مقطع هذه الآية التفكر لأنه استدلال بحدوث (وقع) الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار.

من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين

وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

في تفسير الكبير؛ إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت آخذها، وأنا معطيها؛ فحصل لك عند أخذها وصفان؛ كونك ظلوماً، وكونك كَفَّاراً، ولي عند إعطائها وصفان وهما: أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء.

[عكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف]

كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ ﴾ [النور: ٥٨]، ثم قال: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ ﴾ [النور: ٥٩]. قال في الأولى: عليم بمصالح عباده، حكيم في بيان مراده. وقال في الثانية: عليم بمصالح الأنام، حكيم ببيان الأحكام، ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار.

وقوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فإن قوله: ﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ يوهم أن الفاصلة «الغفور الرحيم».

كقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ ﴾ [الأنعام: ٣١]، فجعل لفاصلة: ﴿يَزِرُونَ﴾ لجناس: ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ وإنما قال: ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «على رءوسهم»؛ لأن الظهر أقوى للحمل، فأشار إلى ثقل الأوزار.

الإيغال: وسُمِّيَ به، لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد. يقال: أوغل في الأرض الفلانية، إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلِّم إذا تم معناه، ثم تعداه بزيادة فيه، فقد أوغل؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة: ٥٠]، فإن الكلام تم بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا ﴾، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائداً.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ ﴾ [يس: ٢١]، فإن المعنى تم بقوله: ﴿أَجْراً﴾، ثم زاد الفاصلة لمناسبة رءوس الآي، فأوغل بها كما ترى حتى أتى بها تفيد معنى زائدا على معنى الكلام.

فصل
في ضابط الفواصل

طريقان: توقيفي وقياسي:

الأول: التوقيفي: روى أبو داود عن أم سلمة: لما سئلت عن قراءة رسول الله قالت: كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ [الفاتحة: ١] إلى ﴿الَّذِينَ﴾ تقف على كل آية، فمعنى يقطع قراءته آية آية، أي: يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته كذلك ليعلم رءوس الآي.

قال: ووهم فيه من سمَّاه وقف السُّنَّة، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبداً فهو مشروع لنا، وإن كان لغيره فلا، فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى، احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو

لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

الثاني: القياسي: وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل، أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز؛ فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه؛ فأقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في النظم، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة (القذر-رجز)، من نوع إلى آخر، بخلاف قافية القصيد.

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة؛ ومن ثم أجمع العادون على ترك عد: ﴿ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ [النساء: ١٣٣] و: ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢] و: ﴿كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] و﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [مريم: ٩٧]، و: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧].

*   *   *

النوع الرابع
في جمع الوجوه والنظائر (مثيل)

فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة.

وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني؛ وضُعِّف، لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة؛ فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر، كالأمثال.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً، أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

<u>فمنه الهدى:</u>

بمعنى البيان. كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [لقمان: ٥].

وبمعنى الدين: ﴿ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وبمعنى الإيمان: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ ﴾ [مريم: ٧٦].

وبمعنى الداعي: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

* * *

النوع الخامس
علم المتشابه

الفصل الأول
المتشابه باعتبار الأفراد

وقع يشبه في القرآن منه كثير. ففي النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أي المتفقين في اللفظ والمعنى، أو المتجانسين في اللفظ دون المعنى، والملحقين بالمتجانسين؛ وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق. في أول الفقرة والآخر في آخرها. نحو قوله تعالى:

ففي سورة البقرة الآية 58: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾.

وفي الأعراف الآية 161: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾.

وفي البقرة الآية 62: ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾.

وفي الحج الآية 17: ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾.

في البقرة الآية 120، والأنعام 71: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾.

وفي آل عمران الآية 73: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ﴾.

<u>ما يشتبه بالزيادة والنقصان</u>

ففي البقرة الآية 6: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾.

وفي يس ﴿سَوَاءٌ﴾ بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم «إن»، وما في يٓسٓ جملة عُطفت بالواو على جملة.

<u>التقديم والتأخير</u>، وهو قريب من الأول، ومنه في البقرة: ﴿ يَتۡلُواْ

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٢٩] مؤخر، وما سواه: ﴿ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

بالجمع والإفراد؛ كقوله في سورة البقرة: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ... ٨٠ ﴾ وفي آل عمران: ﴿ مَّعۡدُودَٰتٖۖ ... ٢٤ ﴾، لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكر أن يقتصر في الوصف على التأنيث، نحو: ﴿ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ ﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٦]، فجاء في البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع.

إبدال حرف بحرف غيره؛ كقوله تعالى في البقرة: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا ﴾ [البقرة: ٣٥] بالواو، وفي الأعراف الآية 19: ﴿فَكُلا﴾ بالفاء، وحكمته أن: ﴿اسْكُنْ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة، فلم يصلح إلا بالواو؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، والذي في الأعراف من المسكن، وهو اتخاذ الموضع سكناً، فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمناً متجدداً، وزاد في البقرة: ﴿رَغَداً﴾ لقوله: ﴿وَقُلْنَا﴾ بخلاف سورة الأعراف، فإن فيها: ﴿قَالَ﴾ وذهب قوم إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول.

ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿و إِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة: ٥٨]، بالفاء وفي الأعراف بالواو.

إبدال كلمة بأخرى:

في البقرة:﴿ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ...١٧٠ ﴾، وفي لقمان:﴿ وَجَدۡنَا... ٢١ ﴾، وفي آل عمران) ﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ... ٤٧﴾ ، وفي مريم: ﴿

قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ...﴾، لأنه تقدم ذكره في ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩ ﴾ [مريم: ١٩].

الإدغام وتركه

في النساء والأنفال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ ، وفي الحشر بالإدغام، وفي الأنعام: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ وفي الأعراف: ﴿لعلهم يَضَّرَّعُونَ﴾.

* * *

النوع السادس
علم المبهمات

أن يكون أبهم في موضع استغناء ببيانه في آخر في سياق الآية؛ كقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 4]، بينه بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ١٧﴾ [الانفطار: ١٧] الآية.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]، وبينه بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، والمراد آدم، والسياق بينه.

كقوله ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ولم يقل: حواء؛ لأنه ليس غيرها.

وكقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والمراد النمرود؛ لأنه المرسل إليه.

كقوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، والمراد بها بيت المقدس.

كقوله: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ [النور: ٢٢]، والمراد الصديق، نزلت في الصديق حين حلف ألّا ينفع على مسطح أبداً.

وكذلك: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ [الزمر: ٣٣]، يعني محمداً، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، يعنى أبا بكر، ودخل في الآية كل مصدق، ولذلك قال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

* * *

تحقيره بالوصف الناقص؛ كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾

[النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣]، والمراد فيها العاص بن وائل. وقوله: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ ﴾ [الحجرات: ٦]، والمراد الوليد ابن عقبة بن أبي معيط. وأما قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]، فذكره هنالك للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب.

تنبيهات

الأول: قد يكون للشخص اسمان فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكتة فمنه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة: ٤٠]، ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا، دون «يا بني يعقوب».

ومنه قوله تعالى حاكياً عن عيسى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦]، ولم يقل: «محمد»؛ لأنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربه، فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به.

* * *

الثاني: أنه قد بالغ في الصفات للتنبيه على أنه يريد إنساناً بعينه؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ١١ ﴾ [القلم: ١٠-١١]، الآية. قيل: إنه الأخنس بن شريق.

وقوله: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، قيل: إنه أمية بن خلف كان يهمز النبي .

الثالث: قيل: لم يذكر الله تعالى «امرأة» في القرآن وسماها باسمها إلا مريم بنت عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً؛ وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها، ومع هذا فإن عيسى لا أب له، واعتقاد هذا واجب، فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم، استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفى الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله.

* * *

النوع السابع
في أسرار الفواتح والسور

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة.

وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام؛ لا يخرج شيء من السور عنها.

الاستفتاح بالثناء

الأول: استفتاحه بالثناء عليه عز وجل، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه من صفات النقص.

والإثبات نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ في خمس سور: سورة الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

و﴿تَبَارَكَ﴾ في سورتين؛ الفرقان، والملك.

والتنزيه نحو: سورة الإسراء، وسورة الأعلى، و: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾، و﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾، كلاهما في سبع سور، فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله؛ نصفها لثبوت صفات الكمال، ونصفها لسلب النقائص

قلت: وهو سر عظيم من أسرار الألوهية.

الثاني: استفتاح السور بحروف التهجي، نحو: الٓمٓ ، المص، المر، كهيعص ، طه، طس، طسم، حم، عسق، ق، ن، وذلك في تسع وعشرين سورة

[3 - الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور: النداء؛ نحو: يأيها الذين آمنوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [الحجرات: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]. ونحو: يأيها

النبي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ ﴾ [الأحزاب: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ [التحريم: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر: ١]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]، و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٢]. **وذلك في عشر سور**

[4 - الاستفتاح بالجمل الخبرية]

<u>الرابع</u>: الجمل الخبرية؛ نحو: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١]، ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١]، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]، ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ [النور: ١]، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [السجدة: ٢]، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ [الفتح: ١]، ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر: ١]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١ - ٢]، ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿**الْحَاقَّةُ**﴾، ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ ﴾ [المعارج: 1]، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا ﴾ [القمر: ١٩]، ﴿ لَآ أُقْسِمُ ﴾[البلد : 1] **في موضعين: القيامة والبلد،** ﴿ عَبَسَ ﴾ [عبس : 1]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [القدر: 1]، ﴿لَمْ يَكُنِ ﴾ [البيّنة: 1]، ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١]، ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ [التكاثر:1]، ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾ [الكوثر: 1] **فتلك ثلاث وعشرون سورة.**

[5 - الاستفتاح بالقسم]

<u>الخامس</u>: القَسَم؛ نحو: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾، ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾، ﴿وَالطُّورِ﴾، ﴿وَالنَّجْمِ﴾، ﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾، ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالشَّمْسَ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ﴾،

﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالتِّينِ﴾، ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فتلك خمس عشرة سورة.

[6 - الاستفتاح بالشرط]

السادس: الشرط؛ نحو: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ [الواقعة: ١]، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ [التكوير: ١]، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ﴾ [الزلزلة: ١]، ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ﴾ [النصر: ١]، **فذلك سبع سور.**

[7 - الاستفتاح بالأمر]

السابع: الاستفتاح بالأمر في ست سور ﴿ قُلۡ أُوحِيَ ﴾ [الجن: ١]، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]، ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿ قُلۡ أَعُوذُ ﴾ [الفلق: ١، والناس: 1]، **في سورتين.**

[8 - الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن: لفظ الاستفهام في ﴿ هَلۡ أَتَىٰ ﴾ [الإنسان: ١]، ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١]، ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ ﴾ [الذاريات: ٢٤]، ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾ [الشرح: ١]، ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿ أَرَءَيۡتَ ﴾ [الكهف: ٦٣]، **فتلك ست سور.**

[9 - الاستفتاح بالدعاء]

التاسع: الدعاء في ثلاث سور ﴿ وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١]، ﴿ وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١].

[10 - الاستفتاح بالتعليل] (اظهار علة الشَئ)

العاشر: التعليل في موضع واحد نحو: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ [قريش: ١].

هكذا في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ [الأعلى: ١]، فإنه يدخل أيضا في قسم الأمر، و: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، يحتمل الأمر والخبر.

* * *

النوع الثامن
في خواتم السور

وهي مثل الفواتح في الحسن،

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وخاتمة سورة الأحقاف: ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]، والمراد المؤمنين؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]، يعني أنهم جمعوا بين

النعمـة المطلقـة وهي نعمـة الإيمـان، وبـين السـلامة مـن غضـب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده.

فصل
[في مناسبة فواتح السور وخواتمها]

ومن أسراره مناسبة فواتح السور وخواتمها. وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النبي بألا يكون ظهيراً للكافرين.

وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]، وأورد في خاتمتها: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فصل
[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها]

ومن أسراره مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها، حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً، كما قيل في: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥]. ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش: ١].

وفي الكواشي لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد، أكَّد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

* * *

النوع التاسع
معرفة المكي والمدني
وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ، والمكيّ أكثر من المدني.

اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة. قال السيوطي في الإتقان: ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزل بمنىً وعرفات والحُديبية، وفي المدينة وضواحيها كالمنزل ببدر وأُحُد سُلع.

أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.

أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر، فخوطبوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النـاس ﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخوطبوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

ونزولها هناك لا يُخرجها عن المدنيّ بالاصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدنيّ سواء كان بالمدينة أو بغيرها.

وقال الماورديّ في سورة النساء: هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة ويسلمها إلى العباس فنزلت: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء: ٥٨] والكلام فيه كما تقدم.

وذكر الماوردي أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية، وهي: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى.

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الناس ﴾ وليس فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، فهي مكية، وفي الحج اختلاف. وكل سورة فيها ﴿كَلَّآ﴾ فهي مكية، وكل سورة فيها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران وفي الرعد خلاف، وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة، وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت.

كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

ما كان من حدّ أو فريضة، فإنه أنزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب، فإنه أنزل بمكة.

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾، ثم ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾، ثم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾، ثم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾، ثم ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، ثم ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾، ثم ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾، ثم ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴾، ثم ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾، ثم ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾، ثم ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾، ثم ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ﴾، ثم ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾، ثم ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾، ثم ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي ﴾، ثم ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ثم سورة الفيل، ثم الْفَلَقِ، ثم النَّاسِ، ثم ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، ثم ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾، ثم ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾، ثم ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾، ثم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾، ثم ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾، ثم ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، ثم ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴾، ثم ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾، ثم الهمزة، ثم المرسلات، ثم ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾، ثم ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾، ثم الطارق، ثم ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ ثم ﴿ ص والقرءان ﴾، ثم الأعراف،

ثم الجن، ثم ﴿ يسٓ ﴾، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم مريم، ثم طه، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم النمل، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حمٓ المؤمن، ثم حمٓ السجدة، ثم حمٓ عٓسٓقٓ، ثم حمٓ الزخرف، ثم حمٓ الدخان، ثم حمٓ الجاثية، ثم حمٓ الأحقاف، ثم والذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾، ثم ﴿وَٱلطُّورِ﴾، ثم الملك، ثم ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾، ثم ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾، ثم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثم ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، ثم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، ثم الروم.

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها: سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾، ثم الحديد، ثم محمد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾، ثم الطلاق، ثم ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾، ثم الحشر، ثم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم ﴿يَأيُهَا النَبِيُ لِمَ تُحَرِّمُ﴾، ثم الصف، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الفتح، ثم التوبة، ثم المائدة.

ومنهم من يقدم المائدة على التوبة، وقرأ النبي المائدة في خطبة حجة الوداع، وقال: (يأيها الناس، إن آخر القرآن نزولاً سورة المائدة، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها). فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة، على اختلاف الروايات.

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ ...﴾ [الحجرات: ١٣] الآية. ولها قصة يطول

بذكرها الكتاب، ونزولها بمكة يوم فتحها، وهي مدنية؛ لأنها نزلت بعد الهجرة.

ومنها قوله في المائدة: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣] إلى قوله ﴿ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥]، نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات، فبركت ناقة النبي من هيبة القرآن. وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة، وهي عدة آيات يطول ذكرها.

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكي

منه الممتحنة إلى آخرها، وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة وسارة، والكتاب الذي دفعة إليها - وقصتها مشهورة - فخاطب بها أهل مكة «إلى قريش يخبرها بالذي أجمع عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم».

ومنها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ [النحل: ٤١] إلى آخر السورة مدنيات، يخاطب بها أهل مكة.

ومنها سورة الرعد يخاطب أهل مكة وهي مدنية،

ومن أول براءة إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] خطاب لمشركي مكة، وهي مدنية.

فهذا من جملة ما نزل بمكة في أهل المدينة وحكمه مدني، وما أنزل في أهل مكة وحكمه مكي.

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

من ذلك قوله تعالى في النجم ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ [النجم: ٣٢] يعني كل ذنب عاقبته النار، وَ﴿ ٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] يعني كل ذنب فيه حدّ، ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: ٣٢]، وهو بين الحَدَّيْن من الذنوب، نزلت في نبهان والمرأة التي راودها عن نفسها فأبت؛ والقصة مشهورة، واستقرت الرواية بما قلنا. والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حد ولا غزو.

ومنها قوله تعالى في هود: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود: ١١٤] الآية نزلت في أبي مقبل الحسين بن عمر بن قيس والمرأة التي اشترت منه التمر فراودها.

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

من ذلك قوله تعالى في الأنبياء: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: ١٧]، نزلت في نصارى نجران، ومنهم السيد والعاقب.

ومنها سورة ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات: ١] في رواية الحسين ابن واقد، وقصتها مشهورة. ومنها قوله تعالى في الأنفال: ﴿ و إِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية. (هَذهِ قصة عن نظر بن الحارث الكافر هو طلب عذاب)

النوع العاشر
معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله ففي صحيح البخاري في حديث بدء الوحي ما يقتضي. أن أول ما نزل عليه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، ثم المدثر.

وقيل أول ما نزل للرسالة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾، وللنبوة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾، فإن العلماء قالوا: قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ دال على نبوة محمد ؛ لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان المَلَك بتكليف خاص، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِر﴾ دليل على رسالته لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان المَلَك بتكليف عام.

وقال السدي: آخر ما نزل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وفي صحيح البخاري في تفسير سورة براءة، عن البراء بن عازب رضي

الله عنهما، آخر آية نزلت: ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت براءة.

وفي مستدرك الحاكم، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب رضى الله عنه، أنه قال: آخر آية نزلت على عهد رسول الله : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ثم قرأها إلى آخر السورة. ورواه أحمد في المسند عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضى الله عنه، قال: آخر آية نزلت على عهد رسول الله : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ثم قرأ إلى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. قال: هذا آخر ما نزل من القرآن، فختم بما فتح به بالذي لا إله إلا هو، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال بعضهم روى البخاري آخر ما نزل آية الربا.

وروى مسلم آخر سورة نزلت جميعاً: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡح ﴾

* * *

النوع الحادي عشر
معرفة على كم لغة نزل

أن ضرورة اختلاف لغات العرب، ومشقة نطقهم بغير لغتهم، اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر، فأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه، أي على طريقته في اللغة إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد، وتدربت الألسن، وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة، فعارض جبريل النبي القرآن مرتين في السنة الآخرة، واستقر على ما هو عليه الآن، فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها، بما أوجبه من الاقتصار، على هذه القراءة التي تلقاها الناس.

القول في القراءات السبع

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال:

إنه من المشكل الذي لا يُدْرى معناه، لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفاً، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة، والحرف أيضاً المعنى والجهة.

أن المراد سبعُ قراءات، أن اختلاف القراء إنما هو كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف.

منها: ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ [هود: ٧٨]، ﴿ هُنَّ أَطۡهَرَ لَكُمۡۖ ﴾، و: ﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِى ﴾ [الشعراء: ١٣]، ﴿ وَيَضِيقَ صَدۡرِى ﴾.

ومنها: ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا تتغير صورته؛ كقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ [سبأ: ١٩]. ﴿ رَبَّنَا بَاعَدَ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾.

ومنها: ما يتغير معناه بالحروف واختلافها، ولا تتغير صورت: كقوله: ﴿ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و ﴿ نُنشِرُهَا ﴾.

ومنها: ما تتغير صورته، ولا يتغير معناه؛ كقوله: ﴿ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥]، والصوف المنفوش.

ومنها: ما تتغير صورته ومعناه مثل: ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ [الواقعة: ٢٩]، و«طلع».

ومنها بالتقديم والتأخير: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: ١٩]. «والسكرة الحق بالموت.

أن المرادَ سبع لغات لسبع قبائل من العرب؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه؛ هذا ما لم يُسمع قط، أي نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن، فبعضُه نزل بلغة قريش، وبعضُه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة أزْد وربيعة، وبعضه بلغة هوازن وسعد ابن بكر، وكذلك سائر اللغات؛ ومعانيها في هذا كله واحدة.

واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف: «وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه أكثر ما نزل بلسانهم».

وقالوا لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤].

ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب أنه لقي رسُول الله جبريل فقال: «يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط فقال يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» وقال حسن صحيح.

* * *

النوع الثاني عشر
في كيفية إنزاله

قال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١].

واختلف في كيفية الإنزال:

أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجّماً في عشرين سنة، أو في ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.

أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله .

أنه ابتدئ إنزالُه في ليلة القدْر، ثم نزل بعد ذلك منجَّماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

أنه ذهب الأكثرون، ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، قال: أُنزل القرآن جُملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

فإن قلت: ما السِّرُّ في نزوله إلى الأرض منجماً؟ وهَلَّا نزل جملة كسائر الكتب؟ قلت هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه؛ فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾[الفرقان: ٣٢]، يعنون كما أُنْزل على مَنْ قَبْله من الرُّسل، فأجابهم الله بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، أي لنقوي به قلبك؛ فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجديد العهد

به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام

وفي صحيح البخاري: قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما، أَسَرَّ النبي إلى «أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلي».

* * *

النوع الثالث عشر
في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم
[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

روى البخاري في صحيحه، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (حاراً-شديداً) يوم اليمامة بقُراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ فقال عمر: والله إن هذا خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: وقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا أَتَّهمك (شك-وهم)، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، فتتبع القرآن واجمعه. قال زيد: فو الله لو كلَّفني نَقل جَبل من الجِبال ما كان بأثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ؟

فقال هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر التوبة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي شهادته بشهادة رجلين، لم أجدها مع أحد غيره فألحقتها في سورتها، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى قبض، ثم عند حفصة بنت عمر.

وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص، والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنهُ كان مفرقاً في العُسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته (فجمعوه)، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ، من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا، وهذا الترتيب كان منه بتوقيف لهم على

ذلك، وأن هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله مدة حياته عند الحاجة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة، وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة، ورحمة من الله على عباده، وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه كما قال تعالى:﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وزال بذلك الاختلاف، واتفقت الكلمة.

فإن قيل: كيف لم يفعل رسول الله ذلك؟ قيل: لأن الله تعالى كان قد أمنه من النسيان بقوله: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأعلى: ٦ - ٧] أن يرفع حكمه بالنسخ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن، فأحدث بضبطه ما لم يحتج إليه قبل ذلك.

وأما أُبَي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل؛ فبغير شك جمعوا القرآن، والدلائل عليه متظاهرة، قال: ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن في كتاب؛ إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن. قال: ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التي كتب منها القرآن كانت عنده الصديق لتكون إماما ولم تفارق الصديق في حياته، ولا عمر أيامه. ثم كانت عند حفصة لا تمكن منها.

فائدة
[في عدد مصاحف عثمان]

قال أبو عمرو والداني في «المقنع»: أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحداً:

الكوفة والبصرة والشام، وترك واحداً عنده. وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، وزاد: إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين. قال: والأول أصحّ وعليه الأئمة.

فصل
في بيان من جَمَعَ القرآن حفظاً
[من الصحابة على عهد رسول الله]

حفظه في حياته جماعة من الصحابة، وكُلُّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة، أَقَلَّهم بالغون(بلخ) حَدَّ التواتر، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذي والمستدرك وغيرهما من حديث ابن عباس، قال: كان رسول الله يأتي عليه الزمانُ وهو ينزلُ عليه السُّور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا». قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ثم أسند عن ابن سيرين، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل، وأُبَي بن كعب، وزيد، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبو الدرداء وعثمان، وقيل: عثمان وتميم الداري.

*   *   *

النوع الرابع عشر
معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها
تقسيم القرآن بحسب سوره

قال العلماء رضي الله عنهم: القرآن العزيز أربعة أقسام، الطول، والمئون، والمثاني، والمفصل. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي المليح، عن وائلة ابن الأسقع، عن النبي ، قال: «أعطيت السبع الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل».

قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده.

بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء.

وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

وتسع؛ سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.

وإحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والم السجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويٓس.

وثلاث عشرة: الصافات، وصٓ، والزمر، وغافر، وحمٓ، السجدة، وحمٓ عٓسٓقٓ، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال «سورة محمد»، والفتح، والحجرات.

ثم بعد ذلك حزب المفصل: وأوله سورة قٓ، وأما آل حاميم، فإنه يقال: إن حمٓ اسم من أسماء الله تعالى، أضيفت هذه السورة إليه، كما

قيل: سور الله، لفضلها وشرفها. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: آل حم ديباج القرآن. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لكل شيء لباباً، ولباب القرآن حٰمٓ، أو قال: الحواميم.

فصل
[في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه]

وعدد آياته في قول علي رضي الله عنه: ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة. وأطول سورة في القرآن هي البقرة، وأقصرها الكوثر.

فائدة [سبب سقوط البسملة أول براءة]

«اختلف في السبب في سقوط البسملة أول براءة».

فقيل: كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتاباً، ولم يكتبوا فيه البسملة؛ فلما نزلت «براءة» بنقض العهد الذي كان للكفار، قرأها عليهم علي رضي الله عنه، ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم.

وفي مستدرك الحاكم أيضاً، عن ابن عباس: سألت علياً عن ذلك؟ فقال: لأن البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان.

خاتمة
[في تعدد أسماء السور]

قد يكون للسورة اسم وهو كثير، وقد يكون لها اسمان كسورة البقرة، يقال لها: فسطاط القرآن لعظمها وبهائها.

وآل عمران يقال: اسمها في التوراة طيبة، والنحل، تسمى: سورة النعم، لما عدد الله فيها من النعم على عباده. وسورة: ﴿حٰمٓ عٓسٓقٓ﴾ وتسمى الشورى، وسورة الجاثية وتسمى الشريعة، وسورة محمد وتسمى القتال.

وقد يكون لها ثلاثة أسماء كسورة المائدة والعقود والمنقذة. وروى

ابن عطية فيه حديثاً. وكسورة غافر والطول والمؤمن، لقوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقد يكون لها أكثر من ذلك؛ كسورة براءة، والتوبة، والفاضحة، والحافرة؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين؛ قال ابن عباس: ما زال ينزل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلا ذُكِرَ فيها.

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً: الفاتحة، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني والصلاة، والحمد، والكنز، والشافية، والشفاء، والكافية، والأساس.

خاتمة أخرى:
في اختصاص كل سورة بما سميت

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينه ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها.

وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، لم يرد في غير سورة النساء.

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرۡشًاۚ ﴾ [الأنعام: ١٤٢] إلى قوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ [الأنعام: ١٤٤] لم يرد في غيرها.

وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها.

كذا سورة هود، فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف، وسورة هود، والشعراء، بأوعب مما وردت في

غيرها. ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام، كتكرره في هذه السورة؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا، أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام.

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رعى التسمية ما ذكرنا. ومن ذلك السور المفتتحة بالحروف المقطعة، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته.

* * *

النوع الخامس عشر
معرفة أسمائه واشتقاقاتها
[أسماء القرآن]

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءًا وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين.

وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله: اعلم أن الله تعالى سمَّى القرآن بخمسة وخمسين اسماً:

1- سمَّاه كِتاباً فقال: ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الدخان: ١ - ٢].

2- وسمَّاه قرآنا فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٧] .

3- وسمَّاه كلاما فقال: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

4- وسمَّاه نورا فقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

5- وسمَّاه هدى فقال: ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣].

6- وسمَّاه رحمة فقال:﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس:٥٨].

7- وسمَّاه فرقانا فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

8- وسمَّاه شفاء فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ [الإسراء: ٨٢]

9- وسمَّاه موعظة فقال: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس: ٥٧].

10- وسمَّاه ذِكْراً فقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: 50].

11- وسمَّاه كريماً فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77].

12- وسمَّاه عليًّا فقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4].

13- وسمَّاه حكمة فقال: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: 5].

14- وسمَّاه حكيماً فقال: ﴿الر * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1 - 2].

15- وسمَّاه مهيمناً فقال: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة 48].

16- وسمَّاه مباركاً فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [صٓ: 29].
17- وسمَّاه حبلاً فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾ [آل عمران: 103].
18- وسمَّاه الصراط المستقيم فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ [الأنعام: 153].
19- وسمَّاه القيم فقال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً﴾ [الكهف: 1 - 2].
20- وسمَّاه فصلاً فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطَّارق: 13].
21- وسمَّاه نبأً عظيماً فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: 1 - 2].
22- وسمَّاه أحسن الحديث فقال : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر: 2].
23- وسمَّاه تنزيلاً فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 192].
24- وسمَّاه روحاً فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52].
25- وسمَّاه وحياً فقال: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: 45].
26- وسمَّاه المثاني فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87].
27- وسمَّاه عربياً فقال: ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزمر: 28]، قال ابن عباس: غير مخلوق.
28- وسمَّاه قولاً فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: 51].
29- وسمَّاه بصائر فقال: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثة: 20].
30- وسمَّاه بياناً فقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [النساء: 138].
31- وسمَّاه علماً فقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الرعد: 37].
32- وسمَّاه حقاً فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62].
33- وسمَّاه الهادي فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ [الإسراء: 9].
34- وسمَّاه عجباً فقال: ﴿قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي﴾ [الجن: 29].
35- وسمَّاه تذكرة فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر: 54].
36- وسمَّاه بالعروة الوثقى فقال: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: 22].
37- وسمَّاه متشابها فقال: ﴿كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾ [الزمر: 23.].
38- وسمَّاه صدقاً فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: 33].

39- وسمَّاه عدلاً فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: 115].
40- وسمَّاه إيماناً فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ [آل عمران: 193].
41- وسمَّاه أمراً فقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ﴾ [الطلاق: 5].
42- وسمَّاه بشرى فقال: ﴿هُدىً وَبُشْرَى﴾ [النمل: 2].
43- وسمَّاه مجيداً فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: 21].
44- وسمَّاه زبوراً فقال: ﴿لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: 105].
45- وسمَّاه مبيناً فقال: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1-2].
46- وسمَّاه بشيراً ونذيراً فقال: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ﴾ [فُصِّلت: 4].
47- وسمَّاه عزيزاً فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فُصِّلت: 41].
48- وسمَّاه بلاغاً فقال: ﴿ هَٰذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 52].
49- وسمَّاه قصصاً فقال : ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3].
50- وسمَّاه أربعة أسامي في آية واحدة فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: 13 - 14] .

النوع السادس عشر
معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز
من قبائل العرب

وحكي عن أبي الأسود الديلي أنه نزل بلسان الكعبين: كعب بن لؤي، جد قريش، وكعب بن عمرو، جد خزاعة. فقال له خالد بن سلمة: إنما نزل بلسان قريش ولسان خزاعة؛ وذلك أن الدار كانت واحدة.

وقال أبو عبيد في كتاب «فضائل القرآن» عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزل بلغة الكعبين: كعب قريش وكعب خزاعة، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة.

قال أبو عبيد: يعنى أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

* * *

النوع السابع عشر
معرفة ما فيه من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعةٌ لصدقه، وليتحدَّى العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة، وهو قول جمهور العلماء، منهم: أبو عبيدة، ومحمد بن جرير الطبري، والقاضي أبو بكر بن الطيب، في كتاب «التقريب»، وأبو الحسين بن فارس اللغوي وغيرهم.

*   *   *

النوع الثامن عشر
معرفة غريبة

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً؛ فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة.

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري وإلَّا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً.

* * *

النوع التاسع عشر
معرفة التصريف

وفائدة التصريف؛ حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد؛ فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها(معارضها)، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.

من بدع التفاسير أن «الإمام» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، جمع «أم»، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، لئلا يفتضح أولاد الزنا. قال: وليت شعري أيهما أبدع، أصحة لفظة أمه، أم بهاء حكمته.

و قوله تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72]، هو «تفاعلتم»، أصله: [«تدارأتم»]، فأريد منه الإدغام تخفيفاً، وأبدل من التاء دال، [فسكن للإدغام]؛ فاجتُلبت لها ألف الوصل، فحصل على «افاعلتم».

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥ ﴾ [الجن: 15]، وقال تعالى : ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾[الحجرات: 9]، فانظر كيف تحول المعنى بلتصريف من الجور إلى العدل.

النوع العشرون
معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها

قالوا: والإعراب يبين المعنى، وهو الذي يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، بدليل قولك: ما أحسن زيداً، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن، وكذلك فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني، فقالوا: مفتح للآلة التي يفتح بها، ومفتح لموضع الفتح، ومقص للآلة، ومقص للموضع الذي يكون فيه القص.

وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها؛ ككونها مبتدأ، أو خبراً، أو فاعلة، أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام، أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف، أو تنكير، أو جمع قلة، أو كثرة، إلى غير ذلك

* * *

[تنبيه]

تجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش. قال الزمخشري في كشافه القديم: القرآن لا يُعمل فيه إلا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب، دون الشاذ النادر الذي لا يعثر عليه إلا في موضع أو موضعين.

ومهما أمكن المشاركة في المعنى، حسن العطف وإلا امتنع؛ فظهر أنه ليس على المجاورة، بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى: ﴿سَلاسِلا وَأَغْلالاً﴾ [الإنسان: 4]. فإنما أُجيز في الكلام؛ لأنه رد إلى الأصل، والعطف على الجوار خروج عن الأصل فافترقا (فرق-متفارق).

* * *

تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم: الباء زائدة ونحوه، مرادهم أن الكلام لا يختل (خلل- ضُعف) معناه بحذفها؛ لا أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن ذلك لا يحتمل من متكلم، فضلاً عن كلام الحكيم.

* * *

تجنب الأعاريب التي هي خلاف الظاهر، والمنافية لنظم الكلام، كتجويز الزمخشري في ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ [الحشر: 8]، أن يكون بدلا من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الحشر: 7] وهذا فصلٌ كبير.

[تنبيه]

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 9 - 11]؛ فالمعنى أن العامل في إذا «خبير»، والإعراب يمنعه؛ لأن ما بعد «إن» لا يعمل فيما قبلها، فاقتضى أن يقدر له العامل.

* * *

النوع الحادي والعشرون
معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

وقال الزمخشري: من حق مفسّر.كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليما من القادح (مرض-فساد)، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل.

فإن قلت: كيف عددت هذا من أنواع علومه؟ مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه، ولم ينقل عنهم شيء من ذلك، وإنما هذا أحدثه المتأخرون؟

قلت: إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليمُ الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام، وقواعد الإيمان، ولم يُقْصَدْ منه تعليمُ طرق الفصاحة؛ وإنما جاءت لتكون معجزةً، وما قُصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه.

واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدةُ التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة، ولو لم يحبب الفصاحة إلا قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 4] [الكفى]، والمعلومات كثيرة، ومنن الله تعالى جَمَّة (كثيره)، ولم يخصص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان، وقال تعالى: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138]، وقال تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89].

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه؛ ليتمكن بها من اتباع التصديق به، وإذعان (لرائ صديقه-انقاد) النفس له.

*   *   *

النوع الثاني والعشرون
معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما، ثم هاهنا أمور:

أن القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعمائة، جمعها أبو بكر ابن مجاهد: ولم يكن متّسع الرواية والرحلة كغيره. والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة:

أحدهم: عبد الله بن كثير المكي القرشي مولاهم.
الثاني: نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم.
الثالث: عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي الدمشقي، قاضي دمشق، وهو من كبار التابعين.
الرابع: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصري.
الخامس: عاصم بن أبي النجود (بفتح النون) أبو بكر الأسدي الكوفي.
السادس: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التيمي مولاهم.
السابع: الكسائي على بن حمزة الأسدي مولاهم.

وليس في هؤلاء السبعة من العرب إلا ابن عامر، وأبو عمرو، أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف، ووجه بها إلى الأمصار (مناتق - كبيره)، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف.

أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل، لم يمتنع ذلك. إذاً عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يُحصى.

أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى بعض الأوجه:

الأول: الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركات بقائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها؛ نحو: البُخْل، البَخَل: ﴿ٱلَّذِينَ

يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: 37] ومَيْسَرَة وميسُرة: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]﴾، ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ ﴾ [المجادلة: ٢]، ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ [هود: 78]، ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿وَهَلْ يجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾.

الثاني: الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يغيرصورة الخط بها في رأي العين، نحو نُنْشِزُهَا: ﴿كَيۡفَ نُنْشِرُهَا﴾ [البقرة: 259] و فُزِّعَ ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ [سبأ: ٢٣]، و ﴿ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ [الأنعام: ٥٧] و ﴿ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [غافر: ٢٠]، وهو كثير يقرأ به إذا صح سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأي العين.

النوع الثالث والعشرون
معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ

وقال أبو جعفر النحاس: وقد حكى اختلافهم في ترجيح: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: 13] بالمصدرية والفعلية، فقال: والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي وقد قال: «أُنْزل القرآن على سبعة أحرف» فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى.

* * *

النوع الرابع والعشرون
معرفة الوقف والابتداء

وهو فنّ جليل، وبه يعرَف كَيف أداء القرآن. ويترتب على ذلك فوائدُ كثيرة واستنباطات (استدلال) غزيرة (كثير-وافر). وبه تتبيَّن معاني الآيات، ويؤمَن الاحترازُ (Care) عن الوقوع في المشكلات.

وروي عن ابن عباس: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾ [النساء: ٨٣] قال فانقطع الكلام.

واستأنس له ابنُ النحاس بقول للخطيب: «بئس الخطيب أنت» حين قال: [مَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد] ومن يَعْصِيهما - ووقف – قال: قد كان ينبغي أن يصلَ كلَامَه فيقول: ومَنْ يعصمها فقد غَوَى، أو يقف على: «ورسوله فقد رَشَد»؛ فإذا كان [مثلُ هذا] مكروها في الخُطَب ففي كلام الله أشدُّ.

وفيما ذكره نزاع ليس هذا موضعه وقد سبق حديث «أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافٍ؛ ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب».

وهذا تعليم للتمام؛ فإنه يَنْبَغي أن يوقفَ على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار وتُفْصَل عمّا بعدها؛ نحو: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١] ولا توصل بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة: ٨٢]، وكذا قوله: ﴿ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٦]، ولا توصل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ ﴾ [غافر:٧] وكذا: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ [الشورى: ٨]، ولا يجوز أن يوصل بقوله: ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الشورى: ٨].

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهـذا الفـنُّ معرفتُـه تحتـاج إلى علـوم كثـيرة؛ لا يقـوم بالتَّمـام [في الوقـف] إلا نحـويّ عـالم بـالقراءات، عـالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالمٌ باللُّغة التي نزل بها القرآن. وقال غيره: وكذا علم الفقه؛ ولهذا مَنْ لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف، عند قوله: ﴿ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ ﴾ [النور: ٤].

* * *

فأما احتياجُـه إلى معرفـة النحـو وتقديراتـهِ، فـلأنَّ مَـنْ قـال في قولـه تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ [الحج: ٧٨]: إنه منصوب بمعنى «كملَّةِ» أو أعمل فيها ما قبلها، لم يقف على ما قبلها.

وكذا الوقف على قوله: ﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ [الكهف: ١] ثم يبتدئ: ﴿ قَيِّمٗا ﴾ [الكهف: ٢]، لئلا يتخيل كونه صفة له؛ إذا العِوَجُ لا يكون قَيِّما؛

* وهكذا الوقفُ على ما في آخره ها؛ فإنك في غير القرآن تثبت الهاء إذا وقفت، وتحـذفها إذا وصلت؛ فتقـول: قِْه وعِـهْ، وتقـول: قِ زيـداً، وعِ كلامي؛ فأمَّا في القـرآن مـن قولـه تعـالى: ﴿ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ١٩]، و﴿ حِسَابِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ٢٠]، و﴿ سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ٢٩]، و﴿ مَا هِيَهۡ ﴾ [القارعة: ١٠]، و ﴿ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] و ﴿ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ وغير ذلك، فالواجب أن يوقَف عليه بالهاء؛ لأنه مكتوبٌ في المصحف بالهاء، ولا يوصل، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل؛ فإن أثبتَها خالف العربية، وإن حذفها خالف مراد المصحف، ووافق كلام العرب، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين واتَّبع المصحف وكلام العرب.

* * *

واعلم أنَّ أكثرَ القُرَّاء يبتغون في الوقف المعنى وإن لم يكن رأسَ آية، ونـازعهم فيـه بعـضُ المتـأخرين في ذلـك؛ وقـال هـذا خـلاف السـنَّة، فـإن

النبيّ كان يقف عند كل آية، فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] ويقف، ثم يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣] وهكذا، روتْ أمُّ سلمة أنَّ النبيَّ كان يقطِّع قراءته آية آية، ومعنى هذا الوقفُ على رءوس الآي.

* * *

قاعدة

[في «الذي» و «الذين» في القرآن]

جمع ما في القرآن من «الذين» و«الذي» يجوز فيه الوصل بما قبله نَعْتاً له، والقطع على أنه خبر مبتدأ، إلا في سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو المعين.

فصل

[متى يحسن الوقف الناقص]

يحسنُ الوقف الناقص بأمور)

منها: أن يكون لضرب من البيان كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمًا ﴾ [الكهف: ١ - ٢]؛ إذ به تبين أن «قيّماً» منفصل عن «عِوَجاً» وأنه حالٌ في نيّة التقدم.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ [النساء: ٢٣]، ليفصِل به بين التحريم النسبيّ والسلبيّ.

ومنها أن تكون صورته في اللفظ صورة الوصل بعينها نحو قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ١٨ ﴾ [سورة المعارج].

ومنها: أن يكون الكلام مبنيا على الوقف فلا يجوز فيه إلا الوقف

صيغة كقوله: ﴿ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ٢٦ ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦].

هذا في الناقص ومثاله في التام ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ١١ ﴾ [سورة القارعة].

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لا شيء من انقطاع النَّفَس إلا ومعه الوقف، والوقوفُ أمرُها على سبيل الجواز إلا الذي بُني عليه الكلام.

* * *

فصل
[في الكلام على «كَلاَّ» في القرآن]

«كلَّا» في القرآن على ثلاثة أقسام:

إحداها: ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعاً باعتبار معنيين.

والثاني: ما لا يوقف عليه ولا يبتدأ به.

والثالث: ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفاً؛ تضمنها خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن؛ وليس في النصف الأول منها شيء.

وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم، والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول. وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلهم وضعفهم.

وموضعان في التكاثر: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ﴾ [سورة التكاثر]، وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥].

فهذه ثمانية عشر موضعاً، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبتدأ بها، و«كلَّا» على معنى «حقاً» أو «إلا» وألَّا يوقف عليها.

* * *

ما لا يحسنُ الوقف فيه عليها، ولا يحسن الابتداء بها، ولا تكون موصولة بما قبلها من الكلام، ولا بما بعدها، وذلك موضعان: في ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١]، ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة النبأ]. وكذا في التكاثر: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٤]، فلا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها.

* * *

ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها وهو موضعان في الشعراء: ﴿ أَن يَقۡتُلُونِ قَالَ كَلَّاۖ ﴾ [الشعراء: ١٤ - ١٥]، ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ قَالَ كَلَّآۖ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

قال: فهذا هو الاختيار؛ ويجوز في جميعها أنْ تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها ولا تبتدئ بها.

* * *

[الكلام على «بَلَى»]

وأما ﴿بَلَى﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعا في ست عشرة سورة، وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يَختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك عشرة مواضع: موضعان في البقرة: ﴿ مَا لَا تَعۡلَمُونَ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ ﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١]. ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ بَلَىٰۚ ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].

وموضعان في آل عمران: ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ ﴾ [آل عمران: ٧٥ - ٧٦]. ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وموضع في الأعراف: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفيه اختلاف.

وفي النحل: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۢۚ بَلَىٰٓۚ ﴾ [النحل: ٢٨].

وفي يس: ﴿ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ ﴾ [يس: ٨١].

وفي الانشقاق: ﴿ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ ﴾ [الانشقاق: ١٤ - ١٥].

فهذه عشرة مواضع يُختار الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلِّقة بما بعدها وأجاز بعضهم الابتداء بها.

والثاني: ما لا يجوز الوقف عليها لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها.

في الأنعام: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وفي النحل: ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ ﴾ [النحل: ٣٨].

وفي سبأ: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾ [سبأ: ٣].

وهذه لا خلاف في امتناع الوقف عليها ولا يحسن الابتداء بها، لأنها وما بعدها جواب.

الثالث: ما اختلفوا في جواز الوقف عليها؛ والأحسن المنع؛ لأن ما بعدها متصل بها وبما قبلها.

في البقرة: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وفي الزمر: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ ﴾ [الزمر: ٧١].

وفي الزخرف: ﴿ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا ﴾ [الزخرف: ٨٠].

* * *

[الكلام على «نعم»]

وأما ﴿نَعَمْ﴾ ففي القرآن في أربعة مواضع:

في الأعراف: ﴿ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ ﴾ [الأعراف: ٤٤]. والمختار الوقف على «نعم» لأن ما بعدها ليس متعلقا بها ولا بما قبلها؛ إذ ليس هو قول أهل النار، و﴿ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴾ من قولهم

والثاني والثالث في الأعراف والشعراء: ﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ ﴾ [الشعراء:٤٢].

الرابع في الصافات: ﴿ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٨].

والمختارُ ألا يوقف على «نعم» في هذه المواضع لتعلقها بما قبلها لاتصاله بالقول.

* * *

النوع الخامس والعشرون
علم مرسوم الخط

ولما كان خط المصحف هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام، ولا يعدُو رسومَه، ولا يتجاوز مرسومهِ.

ولما كتب الصحابة المصحفَ زَمَن عثمان رضي الله عنه اختلفوا في كتابة «التابوت» فقال: زيد «التابوه»، وقال النّفر القرشيّون: «التابوت»، وترافعوا إلى عثمان فقال: اكتبوا: «التابوت»، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش.

وكان ابن عباس يقول أولُ من وضع الكتاب العربيّ إسماعيل عليه السلام. قال: والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة.

والذي نقوله: إن الخط توقيفيّ لقوله: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ، عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٤ - ٥]، وقال تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١]. [وإذا كان كذا]، فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب؛

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً.

ومذهبنا [فيه التوقيف فنقول]: إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علَّم الله تعالى آدم عليه السلام.

* * *

مسألة
[في كتابة القرآن بغير الخط العربي]

ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود،

والمقامات. والخط إنما يُرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهميّ.

* * *

[الزائد وأقسامه]

الأول: ما زيد فيه والزائد أقسام

[القسم الأول: زيادة الألف]

الأول: الألف؛ وهي إما أن تزاد من أول الكلمة أو من آخرها، أو من وسطها.

فالأول: تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل: ٢١] و ﴿ وَلَأَاْوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخَّر أشدُّ في الوجود من المقدَّم عليه لفظاً؛ فالذبحُ أشدُّ من العذاب، والإيضاع، أشدّ إفساداً من زيادة الخبال.

والثاني: يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود لزيادتها بعد الواو في الأفعال، نحو: «يرجوا» و«يدعوا».

فزيدت الألف تنبيها على ثِقَل الجملة، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل، فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أوْلى، لأنَّ الكلمة جملة، مثل: «قالوا» و«عصوا»، إلا أن يكون الفعلُ مضارعاً، وفيه النون علامة الرفع، فتختص الواو بالنون، التي هي من جهةٍ تمام الفعل؛ إذْ هي إعرابه فيصير ككلمة واحدة وسطها واو؛ كالعيون والسكون، فإن دخل ناصب أو جازم مثل: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤] ثبتت الألف.

وقد تسقط مواضع للتنبيه على اضمحلال (غائب) الفعل، نحو: ﴿ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾ [سبأ: ٥]، فإنه سعيٌ في الباطل لا يصحّ له ثبوتٌ في الوجود.

وكذلك: ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦] و﴿ جَآءُو ظُلْمًا

وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤] ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ ﴾ [يوسف: ١٦]، ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ ﴾ [يوسف: ١٨]، فإن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح

وكذلك: ﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وهو فَيء بالقلب والاعتقاد.

وكذلك: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ ﴾ [النساء: ٩٩]، حذفت ألفهُ لأن كيفية هذا الفعل لا تُدرك، إذ هو ترك المؤاخذة؛ إنما هو أمرٌ عقلي.

وكذلك: ﴿ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢١]، هذا عتوٌ على الله، لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت مِنْ: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] ولم تسقط من ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]، لأن «غضبوا» جملة بعدها أخرى، والضمير مؤكد للفاعل في الجملة الأولى، و«كالُوهم» جملة واحدة، الضمير جزء منها.

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في حرفين: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ [المائدة: ٢٩] و: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ ﴾ [القصص: ٧٦] تنبيهاً على تفصيل المعنى.

وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله: ﴿ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ﴾ [الواقعة: ٢٣] تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الإفراد، يدل عليه قوله: ﴿كَأَمْثَالِ﴾، وهو على خلاف حال: ﴿ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ ﴾ [الطور: ٢٤]، فلم تَزِد الألف للإجمال وخفاء التفصيل.

قال: ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في مائة ومائتين حيث وقعا، ولم تُزَد في «فئة» ولا «فئتين» وزيدت في نحو: ﴿ تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي ﴾ [المائدة: ٢٩]، و﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ [القصص: ٧٦]. ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت [خطأً] في المصحف إلا في هذين الموضعين. [ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في قوله:] ﴿

مَوۡئِلَا ﴾ [الكهف: ٥٨] في الكهف لا غير.

[القسم الثاني: زيادة الواو]

الزائد الثاني الواو، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رتبة في العَيان مثل: ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد.

وكذلك «أولي» و«أولوا» و«أولات»، زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على «أصحاب»، فإنّ في «أولي» معنى الصحبة وزيادة التمليك والولاية عليه، وكذلك زيدت في «أولئك» و«أولائكم» حيث وقعا بالواو. لأنه جمعٌ مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود، وليس للفرق بينه وبين «أولئك» كما قاله قوم لانتفاضِه «بأولا».

[القسم الثالث: زيادة الياء]

الزائد الثالث الياء، زيدت لاختصاص ملكوتي باطن، وذلك في تسعة مواضع كما قاله في المقنع:

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، و: ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴾ [القلم: ٦]، ﴿ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]. فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك (الملكوتي في الوجود).

وكذلك زيدت بعد الهمزة في حرفين:

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

[الناقص وأقسامه]

الوجه الثاني: ما نقص عن اللفظ ويأتي فيه أيضا الأقسام السابقة:

[القسم الأول حذف الألف]

الأول الألف، كلّ ألف تكون في كلمةٍ لمعنى له تفصيلٌ في الوجود له اعتباران.

اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور عُلْوية مما لا يدركه الحسّ فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك واعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم، أو أمور سُفْلية؛ فإن الألف تثبت.

واعتبر ذلك في لفظتي «القرآن» و«الكتاب» فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل؛ قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال في فصلت: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وقال: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧]. ولذلك ثبت في الخط ألف «القرآن» وحذفت ألف «الكتاب».

وقد حُذِفت ألف «القرآن» في حرفين؛ هو فيهما مرادف (مترادف) للكتاب في الاعتبار؛ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وفي الزخرف: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ [الزخرف:٣]، والضمير في الموضعين ضمير الكتاب المذكور قبله. وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما: ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ فقرينته هي من جهة المعقولية وقال في الزخرف: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

ومن ذلك حذف الألف في: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده.

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه: «الرحمٰن» حيث وقع، بياناً، لأنا نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود.

وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء الفاعلين مثل: «قٰدر» و«عٰلم»، وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة.

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع السلامة، مذكراً كان كالعٰلمين، والصٰبرين، والصٰدقين، أو مؤنثا كالمسلمٰت، والمؤمنٰت، والطيبٰت، والخبيٰثت، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت الألف، نحو: السائلين، والصائمين، والظانين، والضالين، وحافّين، ونحوه.

وكذلك حذفت الألف الآتية لمد الصوت بالنداء، مثل: ﴿يٰقُومُ﴾، ﴿يٰعِبَادِ﴾، لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين؛ وذلك أمرٌ باطن ليس بصفة محسوسة في الوجود.

وكلُّ ما فيه من ذكر «أيُّها»، فبالألف إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف: في النور: ﴿ أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وفي الزخرف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾، وفي الرحمن: ﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾.

وكلُّ ما فيه من «ساحر» فبغير الألف إلا في واحد؛ في الذاريات: ﴿ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٩].

[القسم الثاني: حذف الواو]

الثاني: حذف الواو اكتفاء بالضمة قصدا للتخفيف، فإذا اجتمع واوان والضم، فتحذف الواو التي ليست عمدة، وتبقى العمدة سواء كانت الكلمة فعلاً، مثل: ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]، أو صفة مثل مثل: «الموءدة»، و«لَيَؤُس»، و«الغَاوُن»؛ أو اسماً، مثل: «داود» إلَّا أن يُنْوَى كلّ واحد منهما فتثبتان (تَثبُت-تاكُد) جميعاً، مثل «تبوءُوا»، فإِن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام، فنُويت في الكلمة، والواو الثانية ضمير الفاعل فثبتا جميعا.

[القسم الثالث: حذف الياء]

الثالــث : حــذف اليــاء اكتفــاء بالكسرـة، نحــو: ﴿فــارهبون﴾، ﴿فاعبدون﴾.

وكذلك: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، هو الاتباع العلمي في دين الله بالجوارح، المقصود بها وجه الله وطاعته.

وكذلك: ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤]، ثبتت الياء في «المقـام» لاعتبـار المعـنى مـن جهـة الملـك، وحـذفت مـن «الوعيـد» لاعتباره ملكوتياً، فخاف المقام من جهة ما ظهر للأبصار، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار.

وكذلك: ﴿ لَـئِنْ أَخَّـرْتَنِ إِلَىٰ يَـوْمِ ٱلْقِيَـٰمَـةِ ﴾ [الإسراء: ٦٢]، هو التأخير بالمؤاخذة، لا التأخير الجسمي، فهو بخلاف قوله: ﴿ لَـوْلَآ أَخَّـرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [المنافقون: ١٠]؛ لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة.

* * *

وكذلك حذفت الياء من: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: 17] و: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ﴾ [الزمر: 10]، فإنه خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب، لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول.

وهذا بخلاف قوله: ﴿يَا عِبَادِي لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: 68] فإنها ثبتت لأنه خطاب لهم في الآخرة، غير محجوبين عنه، جعلنا الله منهم، إنـه مـنعم كـريم، وثبـت حـرف النـداء، فإنـه أفهمهـم نـداءه الأخـروي في مـوطن الـدنيا في يـوم ظهـورهم بعـد مـوتهم، وفي محـل أعمـالهم إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخروي بعد موتهم، وفي محل جزائهم؛

فصل
في حذف النون

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذى هو لام فعلٍ، فيحذف تنبيهاً

على صغر مبدأ الشئ وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد، إلى مالا يحيط بعلمه غير الله، مثل ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ ﴾[القيامة:37]، حذفت النون تنبيهاً على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب مايدرك هو من نفسه، ثم يترقى فى أطوار التكوين، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ٧٧﴾[يس:77]، فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون؛ كذلك كلُّ مرتبة ينتهى إليها كونه هى ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالو جود الدينوىّ كلُّه ناقص الكون عن كون الآخرة، كا قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾[العنكبوت:64]

كذلك: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: 40] حذفت النون تنبيها على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإن إليه ترتيبها وتضاعيفها ومثله: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: 16].

وكذلك: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾ [غافر: 50] جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان الذي أقل من مبدأ فيه، وهو الحس إلى العقل إلى الذكر، ورقوهم من أخفض رتبة - وهي الجهل - إلى أرفع درجة في العلم - وهي اليقين.

وكذلك: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: 97] هذا قد تم كونه، وكذلك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البيِّنة: 1]، هذا قد تم كونهم غير منفكين إلى تلك الغاية المجهولة لهم، وهي مجيء البيِّنة.

وكذلك: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ [غافر: 85] انتفي عن إيمانهم مبدأ الانتفاع وأقله فانتفى أصله.

فصل
فيما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفخيم

وذلك في أربعة أصول مطردة وأربعة أحرف متفرعة.

فالأربعة الأصول هي ﴿الصَّلَوٰةَ﴾ و﴿الزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ الحَيَوٰةَ﴾، و﴿الرِّبَوٰا﴾.

والأربعة الأحرف قوله في: ﴿ بِٱلۡغَدَوٰةِ ﴾ [الأنعام: 52، والكهف: 28]، و﴿ كَمِشۡكَوٰةٍ ﴾ [النور: 35] وفي﴿ ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ [غافر: 41] وفي﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ [النجم:20]

فأما قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ ﴾ [الأنفال: ٣٥]، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ﴿ حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا ﴾ [الروم: ٣٩]؛ فالرسم بالألف في الكل.

فصل
في مد التاء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل صار لها اعتباران؛ أحدهما: من حيث هي أسماء وصفات، وهذا تقبض منه التاء. والثاني: من حيث أن يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود، فهذا تمد فيه كما تمد في: «قالت» و«حقت». وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة.

فمن ذلك «الرحمة» مدت في بعض المواضع للعلة المذكورة:

بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٦] فوضعها على التذكير فهو الفعل.

وكذلك: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٥٠] والأثر هو الفعل ضرورة.

فصل
في الفصل والوصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط، كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط، كما تفصل كلمة عن كلمة.

فمنه «إنما» بالكسر كله موصول إلا واحدا: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖ ﴾

[الأنعام: ١٣٤]؛

ومنه «أنما» بالفتح كله موصول إلا حرفان: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠] . إنما وصلها في العدم والنفي، بدليل قوله تعالى عن المؤمن: ﴿ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [غافر: ٤٣] فوصل «أنما» في النفيد وفصل في الإثبات، لانفصاله عن دعوة الحق.

ومنه «كلما» موصول كله إلا ثلاثة:

في النساء: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩١] ، فما رَدُّوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود.

وفي سورة إبراهيم: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فحرف «ما» واقع على أنواع مفصلة في الوجود.

وفي قد أفلح: ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ ﴾ [المؤمنون: ٤٤] والأمم مختلفة في الوجود، فحرف «ما» وقع على تفاصيل موجودة لتفصل.

ومنه «بئسما» موصول إلا ثلاثة أحرف: اثنان في البقرة: ﴿بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: 90]، ﴿بِئْسَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ [البقرة: 93]، وفي الأعراف: ﴿بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي﴾ [الأعرف: 150].

ومنه: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الطور: 45]، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ [غافر: 16].

و ﴿يَـوْمَهُمُ الَّـذِي فِيـهِ يُصْـعَقُونَ﴾ [الطور: 45] و ﴿يَـوْمَهُمُ الَّـذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: 83].

ومنه: «لِكَيْلَا» موصول في ثلاثة مواضع؛ وباقيها منفصل.

﴿ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [الحج: ٥]، وفي الأحزاب: ﴿ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وفي الحديد: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾ [الحديد: ٢٣].

فهذه هي الموصولة وهي بخلاف: ﴿ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٍ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [النحل: ٧٠]

وكذلك: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] فهذا المنفي هو حرج مقيد بظرفين.

وكذلك: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ [الحشر: ٧] فهذا النفي هو كون: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [الحشر: 7] دولة بين الأغنياء من المؤمنين وهذه قيود كثيرة.

ومن ذلك: ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] في الأعراف مفصول على الأصل، وفي طه ﴿يَابْنَؤُمَّ ﴾ [طه: ٩٤] موصول لسر لطيف.

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها، وهي: الألف، والواو، والدال، والذال، والراء، والزاي؛ لأنها علامات لانفصالات ونهايات، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة.

فصل
في بعض حروف الإدغام

فمنه: ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف: 166] ، فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل.

وكذلك: ﴿مِنْ مَا﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لا غير:

في النساء الآية 25: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم ﴾، وفي الروم الآية 28: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم ﴾، وفي المنافقون الآية 10: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾.

وكذلك «أم من» بالفصل أربعة أحرف لا غير:

في النساء: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٠٩]، وفي التوبة:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وفي الصافات: ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ [الصافات: ١١]، وفي السجدة: ﴿ أَم مَّن يَأْتِيٓ ﴾ [فصلت: ٤٠].

فهذه الأربعة الأحرف «من» فيها تقسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها، مثل: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى ﴾ [الملك: ٢٢]، فهذا موصول؛ لأنه من نوع واحد، حيث يمشي على صراط مستقيم، وكذا: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل: ٦١]، لا تفاصيل تحتها في الوجود.

وكذلك: «عَنْ مَنْ» مفصول:

حرفان في النور: ﴿ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ [النور: 43]، وفي النجم: ﴿ عَن مَّن تَوَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٢٩]، حرف «من» فيهما كلي، وحرف «عن» للمجاوزة، والمجاوزة عن الكلي مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس؛ فلا وصلة بين الجزأين في الوجود، فلا يوصلان في الخط.

وكذلك «ممن» موصول كله لأن «مَن» بفتح الميم جزئي بالنسبة إلى «ما»، فمعناه أزيد من جهة المفهوم، ومعنى «ما» أزيد من جهة العموم، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجوداً بالحصص، والحصة منه لا تنفصل، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجوداً.

وكذلك: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: 40]، فردة مفصولة، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين: أحدهما: أن الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا وهو البلاغ، بخلاف قوله: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [غافر: 77]، فإنه أخفي فيه حرف الشرط في الخط؛ لأن الجواب المرتب عليه بالفاء خفي عنا، وهو الرجوع إلى الله.

وكذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص: 50].

ومن ذلك «أن لن» كله مفصول إلا حرفان: ﴿أَلَّنْ نجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ [الكهف: 48]، و: ﴿أَلَّنْ نجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة:3]، سقطت النون

منهما في الخط تنبيهاً على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود.

وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها، لما كانت للتعريف - وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر، لا أخفى وأستر - ظهرت في الخط، ووصلت بالكلمة؛ لأنها صارت جزءًا منها حيث هي معرّفة بها، هذا هو الأصل، وقد حذف حيث يخفي معنى الكلمة مثل «اليل»، فإنه بمعنى مظلم، لا يوضح الأشياء بل يسترها ويخفيها، وكونه واحداً إما للجزئي أو للجنس، فأخفي حرف تعريفه في مثله، فإن تعين للجزئي بالتأنيث رجع إلى الأصل.

ومثل «الذي» و«التي» وتثنيتهما وجمعهما؛ فإنه مُبهم في المعنى والكم؛ لأن أول حده للجزئ وللجنس للثلاث أو غيرها؛ ففيه ظلمة الجهل كالليل.

ومثل «التي» في الإيجاب، فإن لام التعريف دخلت على «لا» النافية وفيها ظلمة العدم؛ كـ «الَّيل» ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف التعريف.

وكذلك «الأيكة» نقلت حركة همزتها على لام التعريف، وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام؛ فاجتمعت الكلمتان؛ فصارت «لئكة» علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى.

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين؛ أحدهما في الحجر: ﴿ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٨] أفردهم بالذكر والوصف، والثاني في قٓ: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ ﴾ [قٓ: : ١٤] جمعوا فيه مع غيرهم.

فصل
في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

مثل: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ [البقرة: 247]، و: ﴿ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ ﴾ [الأعراف: ٦٩]، و: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [الرعد: ٢٦] ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصۜۡطُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فبالسين: السعة الجزئية كذلك علة التقييدد وبالصاد: السعة الكلية، بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق.

وكذلك: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ [هود: ٥]، و: ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ ﴾ [الواقعة: ٤٦]؛ فبالسين: من السر، وبالصاد: من التمادي،

فصل
[في كتابة فواتح السور]

كتبوا «الٓمٓ» و«الٓمٓر» و«الٓر» موصولاً.

إن قيل: لم وصلوه والهجاء مقطع لا ينبغي وصله؛ لأنه لو قيل لك: ما هجاء «زيد»؟، قلت: زاي، ياء، دال. وتكتبه مقطعاً، لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته.

قيل: إنما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسم معروف؛ وإنما هي حروف اجتمعت، يراد بكل حرف معنى.

فإن قيل: لِمَ قطعوا «حٓمٓ عٓسٓقٓ» ولم يقطعوا «الٓمٓصٓ» و«كٓهيعٓصٓ»؟

قيل: «حمٓ» قد جرت في أوائل سبع سور، فصارت اسماً للسور فقطعت مما قبلها.

وجوزوا في: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [قٓ: ١] و: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [صٓ:

[١] وجهين: من جزمهما فهما حرفان، ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظهما.

*   *   *

النوع السادس والعشرون
معرفة فضائله

وقـد روى البخـاري رحمـه الله حـديث: «خـيركم مـن تعلـم القـرآن وعلمه»: وروى أصحاب السنن في حديث إلهي: «من شغله القرآن عن ذكـري ومسـألتي أعطيتـه أفضـل مـا أعـطي السـائلين» و«فضـل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». وقال عليه السلام: «ما تقرَّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه». قال أبو النضر: يعني القرآن.

وروى أحمد من حديث أنس رضي الله عنه: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». وروى مسـلم مـن حـديث عمـر رضي الله عنـه: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» وقدم في قتلى أحد في القبر أكثرهم قرآنا (حفاظ قرآن).

*　　*　　*

النوع السابع والعشرون
معرفة خواصه

وقد صنَّف فيه جماعة منهم التميمي، وأبو حامد الغزالي. قال بعضهم: وهذه الحروف التي في أوائل السور، جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]

وروى ابن قتيبة قال: كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه، فشكا ذلك لبعض الصالحين، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ إلى قوله:﴿ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] ثم أضمر (عزم عليه بقلبه)، في أي وقت أضمرت فإنك تقوم فيه. قال: ففعلت فقمت في الوقت المعين.

* * *

النوع الثامن والعشرون
هل في القرآن شيء أفضل من شيء

قال ابن حبان في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: ؟ما أنزل الله في التوارة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطى لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه». قال: وقوله: أعظم سورة، أراد به في الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض.

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث، ثم اختلفوا فقال بعضهم: الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا، وقيل: بل يرجع لذات اللفظ، وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته، ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]، وما كان مثلها فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق.

ف ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وعلى ذلك بنى الغزالي كتابه المسمى «بجواهر القرآن»، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي لحديث أبي سعيد بن المعلى في صحيح البخاري: «إني لأعلمك سورة هي أعظم السُّور في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ولحديث أُبَيُّ بنُ كعب في الصحيحين، قال لي رسول الله : «أي آية في كتاب الله أعظم«؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أُبَي أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت : ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قال: فضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر».

إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما يشرفُ بشرفِ ذاتِهِ ومقتضاه ومتعلقاته، وهي في أي القرآن كـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ في سوره، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين: أحدهما:

أنها سورة وهذه آية؛ فالسورةُ أعظم من الآية؛ لأنه وقع التحدي بها، فهي أفضل من الآية التي لم يتَّحد بها. والثاني: أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً؛ فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبَّر عنه.

* * *

النوع التاسع والعشرون
في آداب تلاوته وكيفيتها

وقال الله تعالى لنبيه : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: 2] وقال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ [الإسراء: 106]، فحقٌ على كل امرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتله، وكمالُ ترتيله تفخيمُ ألفاظه والإبانةُ عن حروفه، والإفصاح لجميعه بالتدبر حتى يصل بكلّ ما بعده.

وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نَفَسُه، وألا يُدغم حرفاً في حرف؛ لأن أقلّ ما في ذلك أن يُسقط من حسناته بعضها، وينبغي للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم؛ فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل.

وقيل: أقل الترتيل أن يأتي بما يبين ما يقرأ به:

وإن كان مستعجلاً في قراءته، وأكمله أن يتوقف فيها، ما لم يخرجه إلى التمديد والتمطيط (مده الشديدا).

فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدِّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم.

وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها.

فإذا مرَّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة.

وإن قرأ آية عذاب وقف عندها، وتأمَّل معناها؛ فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان. فقال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار.

ولذلك قال النبي : «اعرفوا القرآن، والتمسوا غرائبه، وغرائبه

فروضه وحدوده؛ فإن القرآن على خمسة: حلال، وحرام. ومحكم، وأمثال، ومتشابه. فخذوا الحلال، ودعوا الحرام، واعملوا بالمحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثوّر: [أي: لينقر عنه ويفكر في معانيه] القرآن. (النهاية لابن الأثير).

فصل

في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر

تكره قراء القرآن بلا تدبر، وعليه محل حديث عبد الله بن عمرو: لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة: «أهَذًّا كهذِّ الشعر». الهذ والهذذ: سرعة القراء؛ كما تسرع في قراءة الشعر (وانظر صحيح البخارى) وكذلك قوله في صفة الخوارج: «يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم» ذمهم بإحكام ألفاظه، وترك التفهم لمعانيه.

رواه ابن ماجه في المقدمة 1 : 62 عن أنس قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : << يخرج قوم في آخر الزمان – أو في هذه الأمة – يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم – أو حلوقهم.

في تعلم القرآن

ثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان : << خيركم مَن تعلّم القرآن و عّلمه >> وفي رواية << أفضلكم >>. وعن عبدالله يرفعه : <<إن القرآن مادُبة الله فتعلموا مادبة ما استطعم>> رواه البيهقي.

وروي أيضاً عن أبي العالية قال: «تعلموا القرآن خمس، آيات خمس آيات، فإن النبي كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمسا خمساً». وفي رواية: «من تعلمه خمساً خمساً لم ينسه».

قال أصحابنا: تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة.

[في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

يجوز أخذ الأجرة على التعليم، ففي صحيح البخارى من حديث ابن عباس « إن أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله. وقيل : إن تعين عليه لم يجز » ما جور عليه، وهوا عمل الأنبيا عليهم الصلاة والسلام.

فيجوز لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلّماً للخلق وكان يقبل الهدية.

[في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه]

قال تعالى : ﴿يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناء الَّليل﴾ [سورة آل عمران]، واستذ كروا القرآن فلهوا أشد تفصياً في صدور الرجال من النَّعم في عقالها [صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن]. وروى أبو عبيد في فضائل القرآن بسنده النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فضل القرآن نظرا على من قرأ ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة ». وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعا : « النظر إلى الكعبة عبادة، و النظر في وجه الوالدين عبادة، و النظر في المصحف عبادة » المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿لِيَتَدَبَّرُوا آياَتِهِ﴾ [سورة ص].

إن كان القارى من حفظه يحصلُ له من التدبر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل.

[في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة]

يستحب الاستياك (السواك) وتطهير فمه، والطهارة للقراءة باستياكه، وتطهير بدنه بالطيب المستحب، تكريماً لحال التلاوة، لابساً من الثياب ما يتجمَّل به بين الناس؛ لكونه بالتلاوة بين يدي المنعم المتفضل بهذا الإيناس، فإن التالي للكلام، بمنزلة المكالم لذي الكلام، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام. ويستحب أن يكون جالسا مستقبل القبلة.

[في التعوُّذ وقراءة البسملة عند التلاوة]

يستحب التعوُّذ قبل القراءة، فإن قطعها قطع ترك، وأراد العود جدَّد، وإن قطعها لعذر عازماً على العود كفاه التعوُّذ الأول ما لم يطل الفصل، ولا بُدَّ من قراءة البسملة أول كل سورة.

[في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة في المصحف أفضل، أم على ظهر القلب، أم يختلف الحال؟

أنها من المصحف أفضل؛ لأن النظر فيه عبادة، فتجتمع القراءة والنظر.

[في استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة؛ صحَّ ذلك عن النبي ، واستحب بعضُهم الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن، ثم روى بسنده عن معاذ بن جبل يرفعه: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِر بالقرآن كالمُسِر بالصدقة». نعم من قرأ والناس يصلُّون فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به؛ فإن النبي خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد، فقال: «يأيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة».

[في كراهة قطع القرآن لمكالمة الناس]

كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه. فلا ينبغي أن يوثر كلامه على قراءة القرآن.

[في حكم قراءة القرآن بالعجمية]

لا تجوز قراءته بالعجمية، سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة وخارجها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [يوسف: 2] وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً﴾ [فصلت: 44].

[في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما يروى «نزل القرآن بالتفخيم». قال الحليمي: معناه) أن يقرأ على قراءة الرجال، ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء. قال: ولا يدخل في كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء. وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم؛ فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل عليه السلام.

وروى البيهقيّ من حديث ابن عمر: «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته، كان له بكل حرف عشرون حسنة. ومن قرأه بغير إعراب، كان له بكل حرف عشر حسنات».

فصل
[في ختم القرآن]

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع، قال النبي : «اقرأ القرآن في كل سبع ولا تزد» رواه أبو داود وروى الطبراني بسند جيد، سئل أصحاب رسول الله كيف كان رسول الله يجزئ القرآن؟ قال: كان يجزئه ثلاثاً وخمساً، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث، وحملوا عليه حديث «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» رواه الأربعة وصححه الترمذي والمختار - وعليه أكثر المحققين - أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة؛ لأنه روى عن عثمان رضي الله عنه، كان يختمه في ليلة واحدة. ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً. رواه أبو داود.

وقال أبو الليث في كتاب «البستان»: ينبغي أن القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة؛ وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقه؛ لأن النبي عرضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين.

[فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم، وقرأ المعوذتين، قرأ الفاتحة، وقرأ خمس آيات من البقرة إلى قوله: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]؛ لأن آية عند الكوفيين وعند غيرهم بعض آية. وقد روى الترمذي: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: الحال المرتحل، قيل: المراد به الحث على تكرار الختم، وختمة بعد ختمة، وليس فيه ما يدل على أن الدعاء لا يتعقب الختم.

[في حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه، فلا يجوز وضعه في شق أو غيره ليحفظ؛ لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقه الكلم.

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل؛ لأن الغُسالة قد تقع على الأرض، وجزم القاضي الحسين في «تعليقه» بامتناع الإحراق؛ وأنه خلاف الاحترام، والنووي بالكراهة، فحصل ثلاثة أوجه.

وفي «الواقعات» من كتب الحنفية أن المصحف إذا بلى لا يحرق، بل تحفر له في الأرض ويدفن.

ونقل عن الإمام أحمد أيضاً: وقد يتوقف فيه لتعرضه للوطء بالأقدام.

* * *

النوع الثلاثون
في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن

وما روى البخاري في كتاب إلى هرقل: «سلام على من اتبع الهدى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران: 64]».

ومن دعائه : «اللهم آتنا في الدنيا حسنة».

وفي حديث آخر لابن عمر : «قد كان لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم سوة حسنة».

وقال عليه السلام : «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حُسبانا، اقضِ عنى الدين، وأغنِنى من الفقر». وفي سياق كلام لأبي بكر : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾، قصد الكلام ولم يقصد التلاوة.

وقول على رضى الله عنه : إنى مبايع صاحبكم ﴿ليقضى الله أمراً كان مفعولا﴾.

وفى كتاب «فضائل القرآن» :كانو يكرهون أن يتلو الأية عند شئ يعرض من أمور الدنيا.

لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لاتجعل لهما نظيراً من القول والفعل فهذا من الإستخفاف بل القرآن وبسنة.

* * *

النوع الحادي والثلاثون
[معرفة الأمثال الكائنة فيه]

وقد روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال؛ فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال».

وضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم. وعلى الثواب والعقاب. وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: 45] فامتنَّ علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: 58]، وقال ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان.

وقد جاء بمعنى الصفة، كقوله تعالى : ﴿وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ أى الصفة العليا، وهو قول «لا إله إلا الله» وقوله : ﴿مثلُ الجنةُ الّتى وُعِدَ المُتَقُون﴾[الرعد: 35] أى صفتها.

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل: 60] أي الوصف الذي له شأن وكقوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29] وكقوله: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ [البقرة: 264] وقوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ [العنكبوت: 41] وقوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَاراً﴾ [الجمعة: 5].

وذلك المتحصل هو المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل: 60] وقد جاء: ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ﴾ [محمد: 19] ففسَّر- بجهة الوحدانية.

وقيل في قوله تعالى : ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ : هى الأمثال يعنى العقوبات. وقوله ﴿كمثل صفوان عليه تراب..﴾ ، وقوله ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءً حتى اذا جاءَهُ لم يجده شيئاً﴾، وقوله ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوةٍ أَنكَٰثًا﴾.

النوع الثاني و ثلاثون

[معرفه احكامه]

إن آيات الأحكام خمسمائة آية، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام.

ثم هو قسمان: أحدهما: ما صرح به في الأحكام؛ وهو كثير، وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك. والثاني : ما يؤخذ بطريق الاستنباط. ثم هو على قسمين:

أحدهما : ما يستنبط من غير ضميمة إلى آية أخرى؛ كاستنباط الشافعي تحريم الاستمناء باليد من قوله تعالى: ﴿إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 206].

والثاني: ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى، كاستنباط علي وابن عباس رضي الله عنهما، أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ [الأحقاف: 15] مع قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14]؛ وعليه جرى الشافعي، واحتج بها أبو حنيفة على أن أكثر الرضاع سنتان ونصف (ثلاثون شهراً)، ووجهه أن الله تعالى قدر لشيئين مدة واحدة. فانصرفت المدة بكمالها إلى كل واحد منهما. ومدة الحمل قصيرة، فقدمت الزيادة على الحولين. حملته ستة أشهر لا محالة إن لم تحمله أكثر.

فائدة

[في ضرورة معرفة المفسر قواعد أصول الفقه]

ولا بد من معرفة قواعد أصول الفقه؛ فإنه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام من الآيات.

فيستفاد عموم النكرة في سياق النفي من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي الاستفهام من قوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الشرط من قوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ [مريم: 26]، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ [التوبة: ٦].

وفي النهي من قوله: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [الحجر: 65].

وفي سياق الإثبات بعموم القلة المقتضى من قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: 14]

ويستفاد عموم المفرد المحلى باللام من قوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: 2]، و: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ [الرعد: 43]، و: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ [النبأ: 40].

وعموم المفرد المضاف من قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢] وقوله: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩]؛ والمراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم.

وعموم الجمع المحلى باللام في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ [الأحزاب: 7] ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: 35] إلى آخرها.

والشرط من قوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] وقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤] ، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ

ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ [الأنعام: ٦٨] وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

هذا إذا كان الجواب طلباً مثل هاتين الآيتين؛ فإن كان ماضياً لم يلزم العموم.

وكقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة: ١١].

وقوله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ ﴾، وإن كان مستقبلاً فأكثر موارده للعموم كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ٣﴾ وقوله : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ٣٠﴾.

فصل

ويستفاد التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب، كقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ فكما يفهم منه وجوب الجلد والقطع، يفهم منه كون السرقة والزنا علة، وأن الوجوب كان لأجلهما، مع أن اللفظ من حيث النطق لم يتعرض لذلك، بل يتبادر إلى الفهم من فحوى الكلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ١٣﴾، إى لبرهم، ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ١٤﴾، إى لفجورهم.

وكذا كل كلام خرج مخرج الذم والمدح في حق العاصى والمطيع، وقد يسمى هذا في علم الأصول لحن الخطاب.

فائدة

قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] جمعت أصول أحكام الشريعة كلها، فجمعت الأمر والنهي، والإباحة والتخيير.

التعجب كايدل على محبة الله للفعل، وقوله ﴿بَل عَجِبتَ وَيَسخَرُون﴾، وقوله ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾.

*   *   *

النوع الثالث والثلاثون
في معرفة جدله

واعلم أنه قد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين؛ فمن ذلك الاستدلال على حدوث العالم بتغير الصفات عليه وانتقاله من حال إلى حال، وهو آية الحدوث، وقد ذكر الله تعالى في احتجاج إبراهيم الخليل عليه السلام استدلاله بحدوث الأقل على وجود المحدث.

والحكم على السمٰوات والأرض بحكم النيّرات الثلاث وهو الحدوث، طرداً للدليل في كلّ ما هو مدلولُه، لتساويها في علَّة الحدوث وهي الجسمانية.

* * *

ومن ذلك الاستدلال على المعاد الجسماني بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104]، ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [قٓ: 15].

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى نحو: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يٓس: 81] ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57].

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات وهو في كل موضع ذكر فيه إنزال المطر غالبا نحو: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: 19].

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، وقد ورد أن أبي بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتتها وذرَّها في الهواء، وقال: يا محمد من يحي العظام وهي رميم! فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يٓس: 79].

فعلَّـم سـبحانه كيفيـة الاسـتدلال بـرد النشـأة الأخـرى إلى الأولى، والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد في الحجاج بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً﴾ [يسٓ: 80].

* * *

النوع الرابع والثلاثون
معرفة ناسخه من منسوخه

قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي بن أبي طالب لقاص: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم. قال: هلكت وأهلكت.

والنسخ يأتي بمعنى الإزالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ﴾ [النحل: 101].

ويأتي بمعنى التبديل كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101]

وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث- يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد. ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: «نسخت الكتاب» إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه.

قال النحاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29]، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4]، ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوماً جميعه في أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ كما قال: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 78 - 79].

ثم اختلف العلماء؛ فقيل: المنسوخ ما رفع تلاوة تنزيله، كما رفع العمل به. ورد بما نسخ الله من التوراة بالقرآن والإنجيل وهما متلوان.

وقيل: إن الله تعالى نسخ القرآن من اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب، فأنزله على نبيه، والنسخ لا يكون إلا من أصل.

والصحيح: جواز النسخ ووقوعه سمعاً وعقلاً.

ثم اختلفوا فقيل: لا ينسخ قرآن إلا بقرآن لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]، قالوا: ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن.

وقيل: بل السُّنَّة لا تنسخ السُّنَّة.

وقيل: السُّنَّة إذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت، وإن كانت باجتهاد فلا تنسخه. حكاه ابن حبيب النيسابوري في تفسيره.

وقيل: بل إحداهما تنسخ الأخرى، ثم اختلفوا. فقيل: الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين، وكانت إحداهما متقدمة الأخرى، فالمتأخرة ناسخة للأولى، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: 180]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: 11]، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء: 11] قالوا: فهذه ناسخة للأولى، ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث.

وقيل: بل ذلك جائز، وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ، وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله عليه السلام: «لا وصية لوارث»، وقيل: ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة.

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا وذلك كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، نسخها بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 5]، ثم نسخ هذه أيضاً بقوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ [التوبة: 29]، وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: 109]، وناسخه قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 5]، ثم نسخها: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: 29].

فصل
[فيما يقع فيه النسخ]

الجمهور على أنه لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي، وزاد بعضهم الأخبار وأطلق، وقيدها آخرون بالتي يراد بها الأمر والنهي.

تنبيهات

التنبيه الأول:

[في تقسيم سور القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله]

اعلم أن سور القرآن العظيم تنقسم بحسب ما دخله النسخ وما لم يدخل إلى أقسام:

أحدها: ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وهي ثلاث وأربعون سورة، وهي: الفاتحة، ثم يوسف، ثم يس، ثم الحجرات، ثم الرحمن، ثم الحديد، ثم الصف، ثم الجمعة، ثم التحريم، ثم الملك، ثم الحاقة، ثم نوح، ثم الجن، ثم المرسلات، ثم النبأ، ثم النازعات، ثم الانفطار، ثم المطففين، ثم الانشقاق، ثم البروج، ثم الفجر، ثم البلد، ثم الشمس، ثم الليل، ثم الضحى، ثم الانشراح، ثم القلم، ثم القدر، ثم الانفكاك، ثم الزلزلة، ثم العاديات، ثم القارعة، ثم ألهاكم، ثم الهمزة، ثم الفيل، ثم قريش، ثم الدين، ثم الكوثر، ثم النصر، ثم تبت، ثم الإخلاص، ثم المعوذتين.

وهذه السور تنقسم إلى ما ليس فيه أمر ولا نهي، وإلى ما فيه نهي لا أمر.

والثاني: ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ، وهي ست سور: الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى

الثالث: ما فيه منسوخ، وليس فيه ناسخ، وهو أربعون: الأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، والرعد، والحجر، والنحل، وبنو إسرائيل، والكهف، وطه، والمؤمنون، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والمضاجع، والملائكة، والصافات، وص، و الزمر، والمصابيح، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وسورة محمد ، و الباسقات، والنجم، والقمر، والرحمن، والمعارج، والمدثر، والقيامة، والإنسان، وعبس، والطارق، والغاشية، والتين، والكافرون

الرابع: ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ، وهي إحدى وثلاثون سورة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأعراف، والأنفال، والتوبة،

وإبـراهيم، والنحـل، وبنـو إسرائيـل، ومـريم، وطـه، والأنبيـاء، والحـج، والمؤمنـون، والنـور، والفرقـان، والشـعراء، والأحـزاب، وسـبأ، والمـؤمن، والشـــورى، والقتـــال، والـــذاريات، والطـــور، والواقعـــة، والمجادلـــة، والممتحنة، والمزمل، والمدثر، والتكوير، والعصر.

ومـن غريـب هـذا النـوع آيـة أولهـا منسـوخ وآخرهـا ناسـخ. قيـل: ولا نظير لها في القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَـنْ ضَـلَّ إِذَا اهْتَـدَيْتُمْ﴾ [المائـدة: 105] يعـني الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

الضرب : ما نُسِخ حكمه وبقى تلاوته، وهو فى ثلاث وستين سورة، كقوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِـنكُمْ وَيَـذَرُونَ أَزْوَٰجًـا... ﴾[البقرة: 234] الآية، فكانت المرأة إذا ماتَ زوجُها لزمت التربّص بعد انقضاء العِدّة حَولا كاملا، ونفقتها فى مال الزوج ، ولا ميراث لها، وهذا معنى قولة : ﴿ مَّتَٰعًـا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَـيْرَ إِخْـرَاجٍۚ... ﴾[البقرة: 240] الآية، فنسخ الله ذلك بقوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ ﴾[البقرة: 234] ، وهذا الناسخ مقدم فى النظم على المنسوخ.

وليس فى القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ، إلا فى موضعين، قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ... ﴾[الأحزاب: 50] الآية، فإنها ناسخة لقوله : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَـكَ ٱلنِّسَـآءُ مِـنۢ بَعْـدُ وَلَآ أَن تَبَـدَّلَ بِهِـنَّ مِـنْ أَزْوَٰجٍ... ﴾[الأحزاب: 52].

فى موضع آخر، وهو قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِـنَ ٱلنَّـاسِ مَـا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَـتِهِمُ ٱلَّـتِى كَانُـواْ عَلَيْهَـاۚ ﴾[البقرة: 142] هى متقدمة فى تلاوة، ولكنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ قَـدْ نَـرَىٰ تَقَلُّـبَ وَجْهِـكَ فِى ٱلسَّـمَآءِۖ ﴾[البقرة: 144].

وقيل: فى تقديم الناسخة فائدة، وهى أن تعتقد حكم المنسوخة قبل العلم بنسخها. ويجىء موضا آخر وهو آية الحشر فى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ [الحشر: 7] الأية، فإنه لم يذكر فيها شئ للغانمين، ورأى الشافعى أنها منسوخة يآية الأنفال، وهى قوله تعالى : ﴿۞وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال : 41]. واعلم أن هذا الضرب ينقستم إلى ما يحرم العمل به ولا يمتنع كقوله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾[الأنفال : 65]. ثم نسخ الوجوب.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ١٩٠﴾[البقرة : 190] قيل : منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[البقرة : 194].

فصل
[في الأسباب الموهم الاختلاف]

<u>وللاختلاف أسباب:</u>

وهو ما يوهم التعارض بين آياته، وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف؛ كا قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82] ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به.

الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، كقوله تعالى في خلق آدم إنه: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 159]، ومرة ﴿مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26، 28، 38]،ومرة ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ [الصافات: 11]، ومرة ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]. وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال.

السبب الثاني: لاختلاف الموضوع، كقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ [الصافات: 24]، وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6]، مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 39]. فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية: على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه. حمله غيره على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة، فموضع يسأل ويناقش، وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ - وهم الكفار - وموضع آخر لا يعنف - وهم المؤمنون.

وقوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [البقرة: 174] مع قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٩٣﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي.

وكقوله: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 164] مع قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]. والجواب أن المراد : لا تكسب شراً ولا إثماً.

* * *

النوع السادس والثلاثون
معرفة المحكم من المتشابه

قال الله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، قيل: ولا يدل على الحصر في هذين الشيئين فإنه ليس فيه شيء من الطرق الدالة عليه وقد قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ٤٤﴾ [النحل: ٤٤] والمتشابه لا يرجى بيانه والمحكم لا توقف معرفته على البيان

قيل في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: 1].

والثاني: كله متشابه لقوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾ [الزمر: 23].

والثالث: - وهو الصحيح- أن منه محكما ومنه متشابها لقوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 7].

فأما المحكم فأصله لغة المنع؛ تقول : أحكمت بمعنى رددت ومنعت، والحاكم لمنعه الظالم من الظلم، وحكمة اللجام هى التى تمنع الفرس من الأضطراب. وأما فى الاصلاح فهو ما أحكمته بلأمر والنهى وبيان الحلال والحرام.

وقيل هو مثل قوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: 43].

وقيل: هو الذي لم ينسخ لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 151] وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] إلى آخر الآيات، وهي سبعة عشر حكماً مذكورة في سورة الأنعام وفي سورة بني إسرائيل.

وقيل: هو الناسخ:

وقيل: الفرائض والوعد والوعيد.

وقيل: الذي وعد عليه ثواباً أو عقاباً. وقيل: الذي تأويله تنزيله بجعل القلوب تعرفه عند سماعه، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

وقيل: ما لا يحتمل في التأويل إلا وجهاً واحداً.

وقيل ما تكرر لفظه.

* * *

ومنه ضرب في تفصيل ذكر النبوّة، ووصف إلقاء الوحي ومحكمه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3].

ومنه ضرب في الحلال والحرام، ومن ثم اختلف الأئمة في كثير من الأحكام بحسب فهمهم لدلالة القرآن.

ومنهم من رجح أنها للعطف لأن الله تعالى لم يكلف الخلق بما لا يعلمون وضعف الأول لأن الله لم ينزل شيئا من القرآن إلا لينتفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غير الله للزمنا ولا يسوغ لأحد أن يقول إن رسول الله ﷺ لم يعلم المتشابه فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]، جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، والمفسرون من أمته. ألا ترى أن ابن عباس كان يقول: أنا من الراسخين في العلم، ويقول عند قراءة قوله في أصحاب الكهف: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: 22] أنا من أولئك القليل.

قال: ذهب كثير من المفسرين إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعضُ ما لا يعلم تأويله إلا الله، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام، ووجه لا يسع أحد جهالته، ووجه تعرفه العرب، ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله،

* * *

النوع السابع والثلاثون
في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق؛

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها؛ بل تجري على ظاهرها، ولا تُؤَوَّل شيئاً منها، وهم المشبهة.

والثاني : أن لها تأويلاً، ولكنا نمسك عنه، مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل، ونقول: لا يعلمه إلا الله؛ وهو قول السلف.

والثالث: أنها مؤولة.

* * *

وقوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] لم يرد سبحانه بنفي النوم والسنة عن نفسه إثبات اليقظة والحركة؛ لأنه لا يقال لله تعالى يقظان، ولا نائم؛ لأن اليقظان لا يكون إلا عن نوم، ولا يجوز وصف القديم به، وإنما أراد بذلك نفي الجهل والغفلة، كقوله: ما أنا عنك بغافل.

وأما قوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، و: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، فإنه إنما يريد في رعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج الكلام إلا معنى <<على>>.

فاقتضى الاختصاص الآخر في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 41]، بخلاف قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14] و: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، فليس فيه من الاختصاص. ما في صنع موسى على عينه سجانه.

* * *

النوع الثامن والثلاثون
معرفة إعجازه

وهو علم جليل عظيم القدر؛ لأن نبوة النبي معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز، قال تعالى:

1 - ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

2 - وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:]، فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة.

3 - وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ۝ أَوَ لَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [العنكبوت: 50 - 51]؛ فأخبر أن الكتاب آية من آياته، وأنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء.

ولما جاء به إليهم - وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع (ذو فصاحة وبيان وعالى الصوت) الخطباء - تحدَّاهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا.

فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقد ثبت أنه تحداهم به، وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه؛ لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا، ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: «سحر» وتارة قالوا: «شعر» وتارة قالوا: «أساطير الأولين» كل ذلك من التحير والانقطاع.

[بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز]

ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، ولم يكن ذلك من شأن العرب، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الفتح: ١٦]، وقوله في أهل بدر: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥] وقوله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا ﴾ [الفتح: ٢٧]، وكقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ ﴾ [الروم:١-٢] وغير ذلك مما أخبر به بأنه سيقع فوقع.

* * *

ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين، حكاية من شاهدها وحضرها، وقال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾ [هود: 49] الآية.

إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل؛ كقوله: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ [آل عمران: 122]، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ ﴾ [الأنفال: ٧] الآية؛ وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً.

وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء، و[في] معجزة موسى بالسحرة، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع (تفوق-تميز) ما تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره؛ فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته، وكذا الطب في زمان عيسى، والفصاحة في مدة محمد .

* * *

[في الحكمة في تنزيه النبي عليه السلام عن الشعر]

قيل: للحكمة تنزيه الله تعالى نبيه عن الشعر وجوه:

أنه سبحانه أخبر عن الشعراء بأنهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأن للشعر شرائط لا يسمّى الإنسان بغيرها شاعراً، كما قال بعضهم وقد سئل عن الشاعر، فقال: إن هزل أضحك، وإن جد كذّب؛ فالشاعر بين كذب واضحاك، فنزه الله نبيه عن هاتين الخصلتين، وعن كل أمر دنيء، وإنا لا نكاد (صعب) نجد شاعراً إلا مادحاً (مدح) ضارعاً، أو هاجياً (هجو) ذا قذع (لم يفلح بحثك)، وهذه أوصاف لا تصلح للنبي.

فصل

[في تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً]

مع أن الموزون في الكلام رتبته فوق رتبة المنظوم غير الموزون، فإن كل موزون منظوم ولا عكس، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 69]، فأعلم سبحانه أنه نَزَّه القرآن عن نظم الشعر والوزن؛ لأن القرآن مجمع الحق ومنبع الصدق، وقُصارى (جُحد-غائيه) أمر الشاعر التحصل بتصوير الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء (مدح-الثنا)، والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق، وإثبات الصدق منه كان بالعرض، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: 43]. أي: كاذب ولم يعن أنه ليس بشعر، فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفي عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى المنطقيون القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية.

* * *

وأما بالنسبة إلى المقامات فانظر إلى مقام الترغيب وإلى مقام الترهيب فمقام الترغيب كقوله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، **نجده تأليفاً لقلوب العباد وترغيباً لهم في الإسلام.**

وأما مقام الترهيب فهو مضادله؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾[النساء: 14]، **ويدل على قصد مجرد** الترهيب بطلان النصوصية من ظاهرها على عدم المغفرة لأهل المعاصى؛ لأن <<مَن>> للعموم لأنها فى سياق الشرط، فيعم فى جميع المعاسى فقد حكم عليهم بالخلود، ينافى المغفرة، وكذلك كل مقام يضاد الأخر، ويعتبر التفاضل بين العبارتين من وجوه.

*   *   *

النوع التاسع والثلاثون
معرفة وجوب تواتره

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا في أصله وأجزائه، وأما في محله ووضعه وترتيبه، فعند المحققين من علماء أهل السنة كذلك، أي يجب أن يكون متواتراً، فإن العلم اليقيني حاصل أن العادة قاضية بأن مثل هذا الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الهادي للخلق إلى الحق المعجز الباقي على صفحات الدهر، الذي هو أصل الدين القويم، والصراط المستقيم، فمستحيل ألا يكون متواتراً في ذلك كله؛ إذ الدواعي تتوافر على نقله على وجه التواتر، وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 71]. والحفظ إنما يتحقق بالتواتر، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67]، والبلاغ العام إنما هو بالتواتر فما لم يتواتر مما نقل آحادا نقطع بأنه ليس من القرآن.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 71]، وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به، وحراسته من وجوه الغلط والتخليط، وذلك وجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة وسلامته.

النوع الأربعون
في بيان معاضدة (اعانه-نصرة) السنة للقرآن

اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر، ويبين إجماله.

ثم منه ما هو ظاهر، ومعه ما يُغمض، وقد اعتنى بإفراد ذلك بالتصنيف: الإمام أبو الحكم ابن برجان في كتابه المسمى «بالإرشاد». وقال: ما قال النبي من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله، قَرُب أو بَعُد، فهمه من فهمه، وعَمِه عنه من عَمِه. قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النور: 8]، ألا تسمع إلى قوله في حديث الرجم: «لأقضين بينكما بكتاب الله»، وليس في نص كتاب الله الرجم.

وقد أقسم النبي أن يحكم بينهما بكتاب الله، ولكن الرَّجُم فيه تعريض مجمل في قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: 8].

وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب، وتفسير هذا المجمل فهو مبيّن بحكم الرسول وبأمره به. وموجود في عموم قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأنتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقوله صلى الله عليه وسلم <<تسحروا فإن في السحور بركة>> من آثار قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾[البقرة: 187]، ومن بركة حضوره الذى هو وصف نزوله جلّ وعَلا إلى سماء الدنيا كل ليلة؛ فكأنه صلى الله عليه وسلم ينبغى البركة فى موضع خطاب ربه، وفى موضع حضوره أو ذكره، أو اسم من أسمائه، ومن هنا وقع التعبد باسم المبارك، واسم القدوس.

وقوله صلى الله عليه وسلم : <<إذا أقيل اليلُ من ها هنا، وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم>> فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى

ٱلَّيۡلِۚ﴾[البقرة: 187]، وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[البقرة: 187]، والبركة فى اتباع مجارى خطابه، وإن كان الخطاب حكمه حكم إباحة؛ كاأن البركة فى اتباع السنة والاقتداء؛ ولهذا كان أكثر الصحابة لا يصلون المغرب إلا على فطر، وكانوا يؤخرون السحور إلى يزوغ الفجر ابتغاء البركة فى ذالك، والخير الموعد به.

وهكذا حكم جميع قضائه، وحكمه على طرقه التي أتت عليه، وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه، ويبلغ منه الراغب فيه حيث بلغه ربه تبارك وتعالى؛ لأنه واهب النعم ومقدر القسم.

وهذا البيان من العلم جليل، وحظه من اليقين جزيل، وقد نبهنا صلى الله عليه وسلم على هذا المطلب في مواضع كثيرة من خطابه.

منها: حين ذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه في الجنة، فقال: «فيها ما لا عين رأت، ولا أُذُنٍ سمعت، ولا خَطَر على قَلْبِ بشرٍ، بَلهُ ما اطلعتم عليه». ثم قال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]».

ومنها: قالوا يا رسول الله: ألا نتكل (إعتمد على نفس) وندع العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ١٠ ﴾ [الليل:٥-١٠].

* * *

وبالجملة فالقرآن كله لم يُنزله تعالى إلا ليفهمه، ويُعلم ويُفهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون، ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب.

وكذلك ما خلق الله الدنيا إلا مثالاً للآخرة؛ فمن فقه عن ربه عز وجل مراده منها، فقد أراح نفسه، وأجم (أي كثيرة) فكره من هذه الجملة.

وفي هـذا النـوع مـن الفقـه أفـنى أولـو الألبـاب أعمـارهم وفي تعريفـه أتعبوا قلوبهم وواصلوا أفكارهم.

رزقنـا الله مـن فضـله العظـيم نـوراً نمشي بـه في الظلمـات، وفرقانـا نفرق به بين المتشابهات!

النوع الحادي والأربعون
[معرفة تفسيره وتأويله]
[معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء]

وهو يتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه [حقائقه].

معاني العبارات التي يعتبر بها عن الأشياء، ترجع إلى ثلاثة: المعنى، والتفسير، والتأويل؛ وهي وإن اختلفت فالمقاصد بها متقاربة.

* * *

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: 33]، أي: تفصيلاً.

وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، وهذا الذي منع فيه القول بالرأي.

* * *

وأما التأويل فأصله في اللغة من الأول ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام (جمع لئم) تؤول (تأويل) العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53]، أي: تُكشف عاقبته، ويقال: آل (خطاب وكلام) الأمر إلى كذا، أي صار إليه وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [الكهف: 82].

وأصله من المآل، وهو العاقبة والمصير، وقد أولته فآل، أي صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

[الفرق بين التفسير والتأويل]

ثم قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال، والصحيح تغايرهما واختلفوا، فقيل: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر.

التفسير أعم من التأول، وأكثر استعماله في الألفاظ وأكثر استعمال

التأويـل في المعـاني كتأويـل الرؤيـا، وأكـثره يسـتعمل في الكتـب الإلهيـة، والتفسير يستعمل في غيرها. والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ.

واعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتفسير أكثره في الجمل

والتفسـير إمـا أن يسـتعمل في غريـب الألفـاظ كـالبحيرة والسـائبة والوصيلة أو في وجيز مبين بشرح كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقـرة: 43] وامـا في كـلام مضـمن لقصـة لا يمكـن تصـويره إلا بمعرفتهـا كقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 37] وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189]

وأمـا التأويـل فإنـه يسـتعمل مـرة عامـاً، ومـرة خاصـاً، نحـو الكفـر، يسـتعمل تـارة في الجحـود المطلـق، وتـارة في جحـود البـارئ خاصـة، و«الإيمـان» المسـتعمل في التصـديق المطلـق تـارة، وفي تصـديق الحـق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة.

فصل

[في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم]

كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمة إلا من تبحر في العلـوم، وعامـل الله بتقـواه في السر والعلانيـة، وأجلـه عنـد مواقـف الشبهات واللطائف والحقائق، لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد؛ فالعبـارات للعمـوم وهي للسـمع، والإشـارات للخصـوص وهي للعقـل، وللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام.

وللكل وصف ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع؛ فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد إحكام الحلال والحرام، والمطلع - أي الإشراق - من الوعد والوعيد؛ فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة، وظهر له حال المعاينة. وفي صحيح ابن حيان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنزِل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن».

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثوّر القرآن؛ أي لينقر عنه يُفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات، فلا بد أن يُعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة، وتفهم وجه ارتباط القدرة بقدره الله تعالى حتى تتكشف وتتضح، فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير.

فصل
[في أمهات مآخذ التفسير للناظر في القرآن]

الأول: النقل عن رسول الله .

الثاني: الأخذ بقول الصحابي

وصدور المفسرين من الصحابة: علي، ثم ابن عباس - وهو تجرّد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي، إلا أن ابن عباس كان أخذ عن على- ويتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص، وكل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم.

[في الرجوع إلى أقوال التابعين ثم ذكر طبقات المفسرين]

ومن المبرزين في التابعين الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ثم يتلوهم عكرمة، والضحاك، وإن لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جبير.

ثم بعد هذه الطبقة أُلِّفَت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

التفسير بالمقتضى
من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع

وهذا هو الذي دعا به النبي لابن عباس في قوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169] وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

[النحل: 44]، فأضاف البيان إليهم.

وعليه حملوا قوله : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» رواه البيهقي من طرق من حديث ابن عباس. وقوله : «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي. وقال: غريب من حديث ابن جندب

وقال البيهقي في «شعب الإيمان»: هذا إن صح، فإنما أراد - والله أعلم - الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به؛ فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه، وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة، الذين شاهدوا تنزيله، وأدوا إلينا من سنن رسول الله ، ما يكون تبياناً لكتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

وفي الحديث أن النبي قال: «القرآن ذلول، ذو وجوه محتملة، فاحملوه على أحسن وجوهه».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ذلول» يحتمل وجهين: أحدهما: أنه مطيع لحامليه، ينطق بألسنتهم، الثاني: أنه موضح لمعانيه، حتى لا تُقصر عنه أفهام المجتهدين.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ذو وجوه» يحتمل معنيين: أحدهما : أن من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل. والثاني: أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فاحملوه على أحسن وجوهه» يحتمل أيضا وجهين: أحدهما: الحمل على أحسن معانيه. والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص، والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله.

قوله صلى الله عليه وسلم: «من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ». وفي رواية: «من قال في القرآن برأيه فقد كفر».

وقوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

[أقسام التفسير]

وقد روى عبد الرزاق في تفسيره: حدثنا الثوري عن ابن عباس أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام:

1 - قسم تعرفه العرب في كلامها.
2 - وقسم لا يعذر أحد بجهالته، يقول من الحلال والحرام.
3 - وقسم يعلمه العلماء خاصة.
4 - وقسم لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فهو كاذب.

وهذا تقسيم صحيح.

القسم الأول: فأما الذي تعرفه العرب، فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة والإعراب.

القسم الثاني: ما لا يعذر واحد بجهله، وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جليًّا لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى.

فهذا القسم لا يختلف حكمه، ولا يلتبس تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: 19]، وأنه لا شريك له في إلهيته.

القسم الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو ما يجرى مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، وتفسير الروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي ، أو إجماع الأمة على تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

القسم الرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يئول إليه؛ فالمفسر ناقل، والمؤوِّل مستنبط، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم.

وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه، على ما تقدم بيانه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره، وهو كما قالوا: إن المركب لا يُعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها.

[في أن الإعجاز يكون في اللفظ والمعنى والملاءمة]

وقد سبق لنا في باب الإعجاز، أن إعجاز القرآن لاشتماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام، مع ما تضمنه من المعاني، مع ملاءمته التي هي نظوم تأليفه.

فأما الأول: وهو معرفة الألفاظ فهو أمر نقلي يؤخذ عن أرباب التفسير، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله تعالى: ﴿فَاكِهَةً وَأَبّاً﴾ [عبس: 31]، «هو ما تأكله البهائم من العُشب» فلا يعرفه، فيراجع نفسه، ويقول: ما الأب؟ ويقول: إن هذا منك تكلف، وكان ابن عباس- وهو ترجمان القرآن- يقول: لا أعرف ﴿حَنَاناً﴾ ولا ﴿غِسْلِينٍ﴾ ولا ﴿الرَّقِيمِ﴾.

1 - ﴿حَنَاناً﴾ من قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣] ، ونقل القرطبي عن جمهور المفسرين: (الحنان: الشفقة والرحمة والمحبة، وهو فعل من أفعال النفس).

2 - من قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٦]، قال القرطبي: (والغسلين، فعلين، من الغسل، فكان ينغل من أبدانهم، وهو صديد أهل النار، السائل من جروحهم وفروجهم).

3 - من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ

ﺀَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، ونقل القرطبي من مجاهد أن الرقيم واد.

وأما المعاني التي تحتملها الألفاظ، فالأمر في معاناتها أشدّ لأنها نتائج العقول.

[في أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن]

قيل: أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فإنه قد بُسط في آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64] ولهذا قال : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة؛ فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر والاستنباط بالشرط السابق.

فائدة

فيما نقل عن ابن عباس في تفسير بعض الآيات

روي عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ [الإسراء: ٥٠ - ٥١]. فقال: الموت.

<u>تفسير يحتاج لتفسير.</u>

ورأيت لبعض المتأخرين أن مراد ابن عباس أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء، كما جاء أنه يذبح على الصراط؛ فكأن المعنى: لو كنتم حجارة أو حديداً لبادر إليكم الموت، ولو كنتم الموت الذي يكبر في صدوركم، فلا بُدَّ لكم من الموت. والله أعلم بتأويل ذلك.

قال: وبقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته في فهمها.

فصل

[أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر]

أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرارُ العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر.

وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم. وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوتُه على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم؛ من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد؛ فهذا القارئ أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: 121]. وهذا هو الراسخ في العلم، جعلنا الله من هذا الصنف: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

فصل

[قد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء]

وقد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء كقوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: 31] الآية، ولم يذكر الأعمام والأخوال، وهم من المحارم، وحكمهم حكم من سُمِّي في الآية، وقد سئل الشعبي عن ذلك فقال: لئلَّا يضعه العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها وكذا الخال، فيفضي إلى الفتنة. والمعنى فيه أن كل من استثني مشترك بابنه في المحرمية إلا العم والخال. وهذا من الدلائل البليغة على وجوب الاحتياط في سترهن.

ولقائل أن يقول: هذه المفسدة محتملة في أبناء بعولتهنّ، لاحتمال أن يذرها أبو البعل عند ابنه الآخر، وهو ليس بمحرم لها، وأبو البعل ينقض قولهم: إن من استثنى اشترك هو وابنه في المحرمية.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: 61]

الآية ولم يذكر الأولاد فقيل لدخولهم في قوله: ﴿بُيُوتِكُمْ﴾.

فصل

في تقسيم القرآن إلى ما هو بين بنفسه وإلى ما ليس ببين في نفسه فيحتاج إلى بيان

ينقسم القرآن العظيم إلى:

ما هو بين بنفسه بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره وهو كثير ومنه قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: 112].

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: 35] .

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1].

وإلى ما ليس ببين بنفسه فيحتاج إلى بيان.

وبيانه إما فيه في آية أخرى، أو في السُّنَّة؛ لأنها موضوعة للبيان قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

والثاني: ككثير من أحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والمعاملات، والأنكحة، والجنايات، وغير ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141].

ولم يذكر كيفية الزكاة، ولا نصابها، ولا أوقاصها، ولا شروطها، ولا أحوالها، ولا من تجب عليه ممن لا تجب عليه، وكذا لم يبين عدد الصلاة ولا أوقاتها.

وكقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] ولم يبين أركانه ولا شروطه، ولا ما يحل في الإحرام وما لا يحل، ولا ما يوجب الدم ولا ما لا يوجبه، وغير ذلك. والأول قد أرشدنا النبي إليه، بما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود: لما نزل : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه!

قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه»

﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] فحمل النبي الظلم ها هنا على الشرك، لمقابلته بالإيمان، واستأنس عليه بقول لقمان.

وقد يكون بيانه مضمراً فيه كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]، فهذا يحتاج إلى بيان؛ لأن ﴿حَتَّى﴾ لا بد لها من تمام وتأويله: حتى إذا جاؤوها، جاؤوها وفتحت أبوابها.

ومثله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: 31]، أي: «لكان هذا القرآن» على رأي النحويين.

وقد يكون بيانه واضحاً وهو أقسام :

أحدها: أن يكون عقبه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2] قال محمد بن كعب القرظي في تفسيره: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 3 - 4]. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج: 19]. قال أبو العالية: تفسيره: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [المعارج: 20 - 21]. وقال ثعلب: سألني محمد بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله تعالى

وكقوله: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فَسَّره بقوله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكقوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ [النساء: ٢٥]، فهذا عام في المسلم والكافر، ثم بيَّن أن المراد «المؤمنات» بقوله: ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾ [النساء: ٢٥] فخرج تزوج الأمة الكافرة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] بينه في آية النساء بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩].

فصل

[قد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره]

وقد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره؛ لأنه أولى بذلك الاسم منه، وله أمثلة: منها تفسيرهم السبع المثاني، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] بالفاتحة، مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثاني، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

ومنها قوله عن أهل الكساء: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» وسياق القرآن يدل على إرادة الأزواج، وفيهن نزلت، ولا يمكن خروجهن عن الآية، لكن لما أريد دخول غيرهن، قيل بلفظ التذكير: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فعلم أن هذه الإرادة شاملة لجميع أهل البيت، الذكور والإناث، بخلاف قوله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: 32] ودلَّ أن عليًّا وفاطمة أحق بهذا الوصف من الأزواج.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى: «هو مسجدي هذا» وهو يقتضي أن ما ذكره أحق بهذا الاسم من غيره، والحصر المذكور حصر الكمال، كما يقال: هذا هو العالم العدل، وإلا فلا شك أن مسجد قباء هو مؤسس على التقوى، وسياق القرآن يدل على أنه مراد بالآية.

[في الإجمال ظاهراً وأسبابه]

وأما ما فيه من الإجمال في الظاهر فكثير وله أسباب.

* * *

أن يعرض من ألفاظ مختلفة مشتركة وقعت في التركيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [ن: 30]، قيل: معناه كالنهار مبيضة لا شيء

فيها وقيل: كالليل مظلمة لاشيء فيها

وكقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: 17]، قيل: أقبل وأدبر.

وكالأمة في قوله تعالى: ﴿ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً ﴾ [القصص: 23] بمعنى الجماعة، وفي قوله: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: 120]، بمعنى الرجل الجامع للخير المقتدى به. وبمعنى الدين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٢٢] وبمعنى الزمان في قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥].

* * *

وقوله: ﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً ﴾ [الإسراء: ٥٩]، أي: آية مبصرة، فظلموا أنفسهم بقتلها، وليس المراد أن الناقة كانت مبصرة لا عمياء.

* * *

وقوله تعالى: ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ ﴾ [العاديات: ٤ - ٥]؛ فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي موريات، أي: أثرن بالحوافر نقعاً، والثانية كناية عن الإغارة، أي: المغيرات صبحاً ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾ جمع المشركي،ن فأغاروا بجمعهم.

السادس: معرفة النزول، وهو من أعظم المعين على فهم المعنى، وسبق منه فى أول الكتاب جملة، وكانت الصحابة والسلف يعتمدونه، وكان عروة بن اليزيد، قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: 158]. أن السعى ليس بركن ، فردت عليه عائشة ذلك وقالت : لو كان كاقلت ، لقال : <<فلا جناح عليه ألا يطوف بهما>>، وثبت أنه إنما أتى بهذه الصيغة؛ لأنه كان وقع فزع فى قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام، فلما جاء الإسلام، كر هوا الفعل الذى كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم، وأمرهم بالطواف. رواه البخارى فى صحيحه. فثبت أنها

نزلت رداً على من كان يمتنع من السعى.

*   *   *

النوع الثاني والأربعون
في وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن

الأول: خطاب العام المراد به العموم:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ [يونس: ٤٤]

وقوله: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩]

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الروم: ٤٠] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [غافر: ٦٧]، و: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [غافر: ٦٤] وهو كثير في القرآن، و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة: ٣٥].

﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب: ٣٧] وغير ذلك.

فائدة
[في العموم والخصوص]

قد يكون الكلامان متصلين، وقد يكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً. ذكره ابن فارس، وخرّج عليه قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، قال: فهذا خاص به، يريد هذا الأمر المحدّد بلّغه، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ ولم تبلغ [هذا] ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ يريد جميع ما أرسلت به.

خطاب الجنس

ومثله بقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، أي: كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية، ولم يقصد بالإنسان عيناً واحداً؛ بل قصد المعنى. وكذلك قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ٥٤]، أي: من وجد فيهم معنى الإنسانية، أي إنسان كان.

قال: وربما قصد به النوع من حيث هو، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

خطاب النوع

نحو: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة: ٤٠] والمراد: «بنو يعقوب»، وإنما صرح به للطيفة سبقت في النوع السادس وهو علم المبهمات.

خطاب العين

نحو: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ ﴾ [هود: ٤٨].

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥].

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولم يقع في القرآن النداء بـ «يا محمد»، بل بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، و: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١] تعظيماً له وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه.

خطاب المدح

نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وهذا وقع خطاباً لأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا، تمييزاً لهم عن أهل مكة، وقد سبق أن كل آية فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ٢١] لأهل مكة، وحكمه ذلك أنه يأتي بعد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ الأمر بأصل الإيمان، ويأتي بعد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الأمر بتفاصيل الشريعة، وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان من قبيل الأمر بالاستصحاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [النور: ٣١]، قيل: يرد الخطاب بذلك باعتبار الظاهر عند المخاطب، وهم المنافقون؛ فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان، كما قال سبحانه: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾ [المائدة: ٤١].

خطاب الذم

نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ [التحريم: ٧]، و: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١].

ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين.

وكثر الخطاب بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ على المواجهة وفي جانب الكفار على الغيبة إعراضا عنهم كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن

يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثم قال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فواجه بالخطاب المؤمنين، وأعرض بالخطاب عن الكافرين، ولهذا كان إذا عتب على قوم قال: «ما بال رجال يفعلون كذا»، فكنى عنه تكرماً، وعبَّر عنهم بلفظ الغيبة إعراضاً.

خطاب الكرامة

نحو: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

خطاب الإهانة

نحو قوله لإبليس: ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ ﴾ [الحجر: ٣٤ - ٣٥].

وقوله: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقوله: ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قالوا: ليس هذا إباحة لإبليس، وإنما معناه أن ما يكون منك لا يضر عباده كقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

خطاب التهكم

وهو الاستهزاء بالمخاطب مأخوذ من «تهكم البئر» إذا تهدمت؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وهو خطاب لأبي جهل؛ لأنه قال: «ما بين جبليها - يعني مكة - أعز ولا أكرم مني».

وقال: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] جعل العذاب مبشرا به

وقوله: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦].

وقوله: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ۝٩٣

وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ ﴾ [الواقعة: ٩٢ - ٩٤]. والنزل لغة: هو الذي يقدم للنازل تكرمة له قبل حضور الضيافة.

خطاب الجمع بلفظ الواحد

كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [الانشقاق: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

والمراد: الجميع بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [العصر: ٢ - ٣].

وكان الحجاج يقول في خطبته: «يا أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان».

وكثيراً ما يجيء ذلك في الخبر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحجر: ٦٨]، ولم يقل ضيوفي؛ لأنه مصدر.

وقوله: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ ﴾ [المنافقون: ٤]، ولم يقل الأعداء،

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، أي : رفقاء.

وقال: وكل واحد من هذه الصفات لا تقع هذا الموقع إلا بعد أن تجري مجرى الاسم الصريح.

خطاب الواحد بلفظ الجمع

كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، فهذا خطاب للنبي وحده؛ إذ لا نبي معه قبله ولا بعده.

وقوله: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النور: ٢٢] الآية؛ خاطب بذلك أبا بكر الصديق، لما حرم مسطحاً رفده، حين تكلم في حديث الإفك.

خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين

كقوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [قٓ: ٢٤] والمراد: مالك خازن النار،

وقال الفراء: الخطاب لخزنة النار والزبانية، وأصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه. ويجوز أن

يكون الخطاب للملكين الموكلين، من قوله: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [قٓ: ٢١].

وقال أبو عثمان: لما ثنى الضمير استغنى عن أن يقول: ألق ألق، يشير إلى إرادة التأكيد اللفظي،

وجعل المهدوي منه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. قال: الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي، وقيل: لهما - وكأن هارون قد أمن على دعائه - والمؤمن أحد الداعيين.

خطاب الاثنين بلفظ الواحد

كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، أي: «ويا هارون». وقوله: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. وقوله: ﴿ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧]. ونحوه فى وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾[التحريم: 4]، وقال ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ﴾[الحج: 19]، ولم يقل : <<اختصما>>. وقال : ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37]، ولم يقل: <<عليهما>> اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه.

خطاب الجمع بعد الواحد

كقوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا...﴾ [يونس: 61] الآية ، فجمع ثالثها، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. قال إنما جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وحده، وانما جمع تفخيما له وتعظيما كما في قوله تعالى: ﴿ ۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٧٥].

خطاب عين والمراد غيره

كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ ﴾ [الأحزاب: ١]، الخطاب له، والمراد المؤمنون؛ لأنه كان تقيًّا، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين. والدليل على ذلك قوله في سياق الآية: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢].

وعكس هذا أن يكون المراد عاماً، والمراد الرسول، قوله: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ ﴾ [الأنبياء: ١٠]، بدليل قوله في سياقها: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

خطاب الاعتبار

كقوله تعالى حاكياً عن صالح لما هلك قومه: ﴿ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩]، خاطبهم بعد هلاكهم؛ إما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبي بأهل بد،ر وقال: «والله ما أنتم بأسمع منهم»، وإما للاعتبار؛ كقوله: ﴿ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ ﴾ [النمل: ٦٩]، وقوله: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره

كقوله: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ [هود: ١٤]، الخطاب للنبي ، ثم قال للكفار: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ١٤]، بدليل قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤].

خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، تقديره: طائعة. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي

مَعَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٠]، فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة؛ لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر.

خطاب التهييج [Stimulation]

كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ولا يدل على أن من لم يتوكل ينتفي عنهم الإيمان؛ بل حَثَّ [Incite] لهم على التوكل.

وقوله: ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

خطاب التشجيع والتحريض

وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤] وكفى بحث الله سبحانه تشجيعاً على منازلة الأقران ومباشرة الطعان!

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

ونحو ذلك في الترغيب والترهيب ما جاء في قصص الأشقياء تحذيرا لما نزل من العذاب وإخبارا للسعداء فيما صاروا إليه من الثواب.

خطاب التنفير

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات: ١٢]، فقد جمعت هذه الآية أوصافاً وتصويراً لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفظع وجه؛ وفي ذلك محاسن كالاستفهام الذي معناه التقريع والتوبيخ وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولاً بالمحبة وإسناد الفعل إلى ﴿احدكم﴾. وفيه إشعار بأن أحدا لا يحب ذلك. ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله «أخاً»، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله «ميتاً» وهذه مبالغات عظيمة، ومنها أن المغتاب

غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت.

خطاب التحنن والاستعطاف

كقوله تعالى: ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

خطاب التحبيب

نحو: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢].

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ [لقمان: ١٦].

﴿ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾ [طه: ٩٤].

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «يا عباس يا عم رسول الله».

خطاب التعجيز

نحو: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾ [الطور: ٣٤].

﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ [هود: ١٣].

﴿ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وجعل منه بعضهم: ﴿ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٥٠]، التعجيز يكون حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب؛ وإنما معنى الآية: كونوا بالتوهم والتقدير كذا،

خطاب التشريف

وهو كل ما في القرآن العزيز مخاطبة بـ «قل» كالقلاقل، «هي الإخلاص والمعوذتان، وهي التي تبدأ بقل. وكذلك سورة الكافرين».

وكقوله: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران: ٨٤]، وهو تشريف منه سبحانه

لهذه الأمة؛ بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة؛ إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول للمرسل إليه: قال لي المرسل: قل كذا وكذا؛ ولأنه لا يمكن إسقاطها، فدل على أن المراد بقاؤها، ولا بُدَّ لها من فائدة، فتكون أمراً من المتكلم للمتكلم بما يتكلم به أمره شفاهاً بلا واسطة؛ ككقولك لمن تخاطبه: افعل كذا.

خطاب المعدوم

ويصح ذلك تبعاً لموجود كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان، ولكل من بعدهم، وهو على نحو ما يجري من الوصايا في خطاب الإنسان لولده، وولد ولده ما تناسلوا، بتقوى الله واتيان طاعته.

وإنما جاز خطاب المعدوم؛ لأن الخطاب يكون بالإرادة للمخاطب دون غيره، وأما قوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، **فعند** الأشاعرة أن وجود العالم حصل بخطاب «كن».

واحتج الأشاعرة بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] . ولو حصل وجود العلم بالتكوين لم يكن في خطاب «كن» فائدة عند الإيجاد.

* * *

النوع الثالث والأربعون
في بيان حقيقته ومجازه

لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق، وهي كل كلام بقي على موضوعه؛ كالآيات التي لم يتجوز فهيا، والآيات الناطقة ظواهرها بوجود

الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، والداعية إلى أسمائه والدالة على أسمائه وصفاته، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] الآية، وقوله: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا ﴾ [النمل: ٦١]، وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ [النمل: ٦٣]، وقوله: ﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [النمل: ٦٤].

[نوعا المجاز]

وله سببان: أحدهما: الشبه، ويسمى المجاز اللغوي، وهو الذي يتكلم فيه الأصولي.

والثاني: الملابسة، وهذا هو الذي يتكلم فيه أهل اللسان؛ ويسمى «المجاز العقلي»، وهو أن تُسند الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل، كسب زيد أباه، إذا كان سبباً فيه.

[المجاز في المركب وأقسامه]

والأول مجاز في المفرد؛ وهذا مجاز في المركب.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [الأنفال: ٢]، ونسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات، لكونها سبباً فيها.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ ﴾ [فصلت: ٢٣]. وقوله: ﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [القصص: ٤]، والفاعل غيره، ونسب الفعل إليه؛ لكونه الأمر به.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [الحاقة: ٢١]، فقيل: على النسب أي: ذات رضاً، وقيل: بمعنى «مرضية»، وكلاهما مجاز إفراد، لا مجاز إسناد؛ لأن المجاز في لفظ «راضية» لا في إسنادها، ولكنهم كأنهم قدروا أنهم قالوا: «رضيت عيشته». فقالوا: «عيشة راضية».

[المجاز الإفرادي وأقسامه]

وأنواع الإفرادي في القرآن كثير يعجز العد عن إحصائها.

كقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٧] قال: الدعاء من النار مجاز.

وكقوله تعالى: ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا ﴾ [الروم: ٣٥] الآية، والسلطان هنا هو البرهان، أي: برهان يستدلون به، فيكون صامتاً ناطقاً؛ كالدلائل المخبرة والعبرة والموعظة.

وقوله: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ٩ ﴾ [القارعة: ٩]؛ فاسم الأم الهاوية مجاز، أي: كما أن الأم كافلة لولدها وملجأً له، كذلك أيضاً النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

وقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ ﴾ [عبس: ١٧]، وقوله: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون: ٤]، والفعل في هذه المواضع مجاز أيضاً؛ لأنه بمعنى أبعده الله وأذله، وقيل: قهره وغلبه، وهو كثير؛ فلنذكر أنواعه لتكون ضوابط لبقية الآيات الشريفة.

الأول
إيقاع المسبب موقع السبب

كقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وإنما نزل سببه، وهو الماء. وكقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ولم يقل: «كما فتن أبويكم»؛ لأن الخروج من الجنة هو المسبب الناشئ عن الفتنة، فأوقع المسبب موقع السبب، أي: لا تفتتنوا بفتنة الشيطان، فأقيم فيه السبب مقام المسبب، وهو سبب خاص، فإذا عدم فيعدم المسبب؛ فالنهي في الحقيقة لبني آدم، والمقصود عدم وقوع هذا الفعل منهم، فلما أخرج السبب من أن يوجد بإيراد النهي عليه، كان أدل على امتناع النهي بطريق

الأولى.

الثاني
عكسه وهو إيقاع السبب موقع المسبب

كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

سمى الجزاء الذي هو السبب سيئة واعتداء، فسمى الشيء باسم سببه، وإن عبرت السيئة عما ساء، أي: أحزن لم يكن من هذا الباب؛ لأن الإساءة تحزن في الحقيقة؛ كالجناية.

ومنه: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، تجوز بلفظ «المكر» عن عقوبته كذا؛ لأنه سبب لها.

الثالث
إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة

إما على التشبيه كقوله تعالى: ﴿ جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧]، فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المريد له.

ومثله: ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان: ٨]، فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام، والمال وهو في الحقيقة لصاحبهما.

النوع الرابع والأربعون
في الكنايات والتعريض في القرآن

اعلم أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح. وأكثر أمثالهم الفصيحة على مجاري الكنايات، وهو كثير في القرآن. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ

ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. والكناية عن الشيء: الدلالة عليه من غير تصريح باسمه.

وهي عند أهل البيان: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللَّفظ الموضوع له من اللغة، فيدل على المراد من طريق أولى، مثاله قولهم: «طويل النجاد»، و«كثير الرماد»، يعنون طويل القامة وكثير الضيافةد فلم يذكروا المراد بلفظ الخاص به، ولكن توصلوا إليه بذكر معنى آخر هو رديفه في الوجود؛ لأن القامة إذا طالت طالت النجاد؛ وإذا كثر القرى كثر الرماد.

[أسباب الكناية]

ولها أسباب:

أحدها: التنبيه على عظم القدرة، كقوله تعالى: ﴿ ۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، كناية عن آدم.

ثانيها: فطنة المخاطب، كقوله تعالى في قصة داود: ﴿ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [ص: ٢٢]، فكنى داود يخصم على لسان ملكين تعريضا.

وقوله في قصة النبي وزيد: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي: زيد. ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:24]، فإنه كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة.

* * *

ثالثها: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ [ص: ٢٣]، فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب، أنها تكني بها عن المرأة.

* * *

رابعهـا: أن يفحـش ذكـره في السـمع، فيكـنى عنـه بمـا لا ينبـو عنـه الطبع، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَـرُّواْ بِـٱللَّغۡوِ مَـرُّواْ كِرَامٗـا٧٢ ﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: كنوا عن لفظه، ولم يوردوه على صيغته.

ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع: باللمس والملامسة، والرفث، والدخول، والنكاح، ونحوهن. قال تعالى: ﴿ فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين.

وقوله تعالى: ﴿ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣]؛ إذ لا يخلوا الجماع عن الملامسة. ومنه قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[البقرة: 235]، فكنى عن الجماع بالسر.

وقوله في الكناية عنهن: ﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، واللباس من الملابسة، وهي الاختلاط والجماع.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ [يوسف: ٢٣]، كناية عما تطلب المرأة من الرجل.

ومنه وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ ﴾ [النور: ٢٦]، يريد الزناة.

* * *

خامسها: تحسين اللفظ كقوله تعالى: ﴿ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ٤٩ ﴾ [الصافات: ٤٩]، فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض.

سادسها: قصد البلاغة كقوله تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ١٨ ﴾ [الزخرف: ١٨]، فإنه سبحانه كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والتشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك. والمراد: نفي ذلك -أعني الأنوثة-

* * *

سابعها: قصد المبالغة في التشنيع، كقوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]، فإن الغل كناية عن البخل، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، لأن جماعة كانوا متمولين فكذبوا النبي فكف الله عنهم ما أعطاهم، وهو سبب نزولها.

وقوله: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، كناية عن كرمه، وثنى اليد وإن أفردت في أول الآية، ليكون أبلغ في السخاء والجود.

ثامنها: التنبيه على مصيره كقوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ١﴾ [المسد: ١]، أي: جهنمي مصيره إلى اللهب.

وكقوله: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ٤ ﴾ [المسد: ٤]، أي: نمامة. ومصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم.

[التعريض والتلويح]

وأما التعريض، فقيل: إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم، وسمي تعريضاً لأن المعنى باعتباره يفهم من عُرض اللفظ، أي: من جانبه. ويسمى: التلويح؛ لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده، كقوله تعالى: ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ٦٣ ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، لأن غرضه بقوله: ﴿ فَسۡـَٔلُوهُمۡ ﴾، على سبيل الاستهزاء وإقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به، من عجز كبير الأصنام عن الفعل، مستدلاً على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا، ولم يرد بقوله: ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾، نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم؛ فدلالة هذا الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة.

ومن أقسامة أن يخاطب الشخص والمراد غيره، سواء كان الخطاب مع نفسه، أو مع غيره، كقوله تعالى: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فإن الخطاب للمؤمنين، والتعريض لأهل الكتاب؛ لأن الزلل لهم لا للمؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ٨١ ﴾ [الزخرف: ٨١]، إذا جُعلت شرطية لا نافية. ومنه: ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ ﴾ [الأنبياء: ١٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [يس: ٢٢]، المراد: ما لكم لا تعبدون، بدليل قوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٢ ﴾ [يس: ٢٢]، ولولا التعريض لكان المناسب «وإليه أرجع».

[التوجيه]

وأما التوجيه وهو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب، كقوله تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ ﴾ [القصص: ١٢]، فإن الضمير في له يحتمل أن يكون لموسى، وأن يكون لفرعون.

النوع الخامس والأربعون
في أقسام معنى الكلام

وقيل قسمان الكلام : خبر، وغير خبر.

وقيل: عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام.

[الخبر]

الأول: الخبر: والقصد به إفادة المخاطب وقد يشرب مع ذلك معاني أخر:

منها: التعجب، وقال الزمخشري في تفسير سورة الصف: معنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

ثم قد وضعوا للتعجب صيغاً من لفظه، وهي: «ما أَفعَلَه» و«أَفْعِلْ بِهِ» وصيغاً من غير لفظه، نحو: «كَبُر» في نحو: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْۚ ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

أنه خبر بقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: ٣٨]، تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم! والله سبحانه لم يتعجب بهم، ولكن دلَّ المكلفين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منه.

ومنها: الدعاء كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي : أعنا على عبادتك.

وربما كان اللفظ خبراً، والمعنى: شرطاً وجزاء، كقوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان: ١٥]، فظاهره خبر، والمعنى: إنا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا.

ومنه قوله: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، من طلَّق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف أو يسرحها بإحسان.

* * *

ومنها: التمني، وكلمته الموضوعة له «ليت»، وقد تستعمل ثلاثة أحرف.

أحدها: «هل»، كقوله: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ﴾ [الأعراف: ٥٣]، حملت «هل» على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام، فيتولد (فيتوكد) التمني بمعونة قرينة الحال.

والثاني: «لو» سواء كانت مع «وَدَّ»، كقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩] بالنصب، أو لم تكن، كقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ [هود: ٨٠]، وقوله: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ ﴾ [الزمر: ٥٨].

والثالث: «لعل»، كقوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] في قراءة النصب.

ومنها النداء، وهو طلب إقبال المدعو على الداعى محرف مخصوص، وإنما بصحب فى الأكثر الأمر والنهى، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة : 21]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: 1]، ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: 16]، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هود: 52]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: 1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ﴾ [التحريم: 7].

وربما تقدمت جملة الأمر جملة النداء؛ كقوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: 31]

وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر كما فى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج: 73].

وقد تجىء معه الجمل الإستفهامية والخبرية؛ كقوله تعالى فى الخبر : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [الزخرف: 68]. وفى الإستفهام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ

تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: 42] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: 1].

[الاستخبار وهو الاستفهام]

الثاني: الاستخبار، وهو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام، أي: طلب الفهم. ومنهم من فَرَّق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً.

ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة.

* * *

وفي الاستفهام فوائد:

الأولى: قال بعض الأئمة: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به؛ إذ قد وضعه الله عندها؛ فالإثبات كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، والنفي كقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقرِّرهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف.

الثانية: قد يخرج الاستفهام عن حقيقته، بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام.

* * *

[استفهام التقرير]

و«هل» لا تقع تقريراً كما يقع غيرها مما هو للاستفهام.

ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ ﴾ [الشعراء: ٧٢]. فإن ذلك من قبيل الإنكار.

والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب.

فالأول: كقوله: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ ﴾ [الضحى: ٦ - ٧]، وقوله: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ﴾ [الشرح: ١ - ٢]، ﴿ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ ﴾ [الفيل: ٢].

والثاني: قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، يحتمل الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل.

منه: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وقيل: أراد التقرير بما بعد النفي، لا التقرير بالنفي.

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات. والذي يقرر عندك أن معنى التقرير الإثبات : فإذا أدخلت على «ليس» ألف الاستفهام كانت تقريراً ودخلها معنى الإيجاب، فلم يحسن معها «أحد»؛ لأن أحداً إنما يجوز مع حقيقة النفي. لا تقول: أليس أحدٌ في الدار؛ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار، وأحد لا تستعمل في الواجب.

وأمثلته كثيرة كقوله تعالى: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي:

أنا ربكم.

وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٤٠].

﴿ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [يٰس: ٨١].

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ [الزمر: ٣٧].

﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «أينقص الرطب إذا جف».

واعلم أن هذا النوع يأتي على وجوه:

* * *

مجرد الإثبات كما ذكرنا.

* * *

الإثبات مع الافتخار، كقوله تعالى عن فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف: ٥١].

الإثبات مع التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء: ٩٧]، أي: هي واسعة، فهلا هاجرتم فيها.

* * *

[الاستفهام بمعنى الإنشاء]

الأول: مجرد الطلب وهو الأمر كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]، أي: اذكروا.

وقوله: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، أي: أسلموا.

وقوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: ٢٢]، أي: أحبوا.

وقوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٥]، أي: قاتلوا.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢].

الثاني: النهي، كقوله تعالى: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]، أي: لا يغرك.

وقوله في سورة التوبة: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ [التوبة: ١٣]، بدليل قوله: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

الثالث: التحذير، كقوله: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦]، أي: قدرنا عليهم فنقدر عليكم.

الرابع: التذكير، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٨٩].

وجعل بعضهم منه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحى: ٦]، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

الخامس: التنبيه وهو من أقسام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١]، والمعنى في كل ذلك: انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه.

وجعل منه بعضهم: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦]، للتنبيه على الضلال.

السادس: الترغيب كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد: ١١]، ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصف: ١٠].

السابع: التمني كقوله: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

الحروف الموضوعة للاستفهام ثلاثة: الهمزة، وهل، وأم، وأما، غيرها مما يستفهم به كـ: من، وما، ومتى، وأين، وأنى، وكيف، وكم، وأيان، فأسماء استفهام، استفهم بها نيابة عن الهمزة، وهي تنقسم إلى ما يختص بطلب التصديق، باعتبار الواقع، كـ: هل، وأم المنقطعة، وما يختص بطلب التصور، كـ: أم المتصلة، وما لا يختص كالهمزة.

[أصل الشرط والجزاء، أن يتوقف الثاني على الأول]

وقد أورد على هذا آيات كريمات.

منها قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقوله: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، وهو العزيز الحكيم، غفر لهم أو لم يغفر لهم.

[أدوات الشرط: حروف وهي «إن» وأسماء مضمّنة معناها]

ثم منها ما ليس بظرف، كـ: من، وما، وأي، ومهما. وأسماء هي ظروف: أين، وأينما، ومتى، وحيثما، وإذ ما.

وأقواها دلالة على الشرط دلالة «إن» لبساطتها ولهذا كانت أم الباب.

وما سواها فمركب من معنى «إن» وزيادة معه، فمن معناه كل في حكم «إن»، وما معناه كل شيء «إن». و«أينما» و«حيثما» يدلان على المكان وعلى «إن». و«إذ ما» و«متى» يدلان على الشرط والزمان.

وقد تدخل «ما» على «إن» وهي أبلغ في الشرط من «إن»، ولذلك تتلقى بالنون المبني عليها المضارع، نحو: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

* * *

وقد تستعمل «إن» في مقام الجزم لأسباب:

منها: أن تأتي على طريقة وضع الشرطي المتصل الذي يوضع شرطه تقديرا لتبيين مشروطه تحقيقاً، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ ﴾ [الإسراء: ٤٢].

ومنها: أن تأتي على طريق تبيين الحال على وجه يأنس به المخاطب، وإظهاراً للتناصف في الكلام، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ ﴾ [سبأ: ٥٠].

ومنها: تصوير أن المقام لا يصلح إلا بمجرد فرض الشرط كفرض الشيء المستحيل، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ ﴾ [فاطر: ١٤]، والضمير للأصنام ويحتمل منه ما سبق فيه قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ [الزخرف: ٨١].

تنبيه: سكت البيانيون عما عدا «إذا» و«إن» وألحق صاحب البسيط وابن الحاجب «متى» بأن قال: لا تقول: متى طلعت الشمس؟ مما علم أنه كائن، بل تقول: متى تخرج أخرج. في الفصل بين «متى» و«إذ»: إن متى للوقت المبهم و«إذا» للمعين؛ لأنهما ظرفا زمان ولإبهام «متى» جزم بها دون «إذا».

* * *

النوع السادس والأربعون
في أساليب القرآن وفنونه البليغة

اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان. وشذ بعضهم فزعم أن موضع صناعة البلاغة فيه إنما هو المعانى، فلم يعد الأساليب البليغة، والمحاسن اللفيظة (اللطيفة). والصحيح أن الموضع مجموع المعانى والألفاظ إذ اللفظ مادّة الكلام الذى منه يتألف، ومتى أخرجت الألفاظ

عن أن تكون موضوعاً خرجت عن جملة الأقسام المعتبرة؛ إذ لا يمكن أن توجد إلا بها.

التأكيد:

والقصد منه الحمل على ما لم يقع؛ ليصير واقعاً، ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر، لئلا يلزم تحصيل الحاصل، وإنما يؤكد المستقبل.

جمهور الأمة على وقوعه في القرآن والسنة، وأن من حق البلاغة فى النظم إيجاز اللفظ واستيفاء المعنى، وخير الكلام ما قلّ ودلّ ولا يملّ، والإفادة خير من الإعادة.

وأجاب الأصحاب بأن القرآن نزل على لسان القوم وفى لسانهم التأكيد والتكراد، وخطابه أكثر؛ بل هو عندهم معدود فى الفصاحة، والبراعة، ومن أنكر وجوده في اللغة.

* * *

القسم الأول
التوكيد الصناعي

وهو قسمان: لفظي ومعنوي. فاللفظي تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه، فمن المرادف: ﴿ فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ [الأنبياء: ٣١]، و﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، في قراءة كسر الراء. و﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧].

واللفظي يكون في الاسم النكرة بالإجماع، نحو: ﴿ قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ ﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦]، وجعل ابن مالك وابن عصفور [منه]: ﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١]، ﴿ ئه ئه ﴾ [الفجر: ٢٢]، وهو مردود لأنه جاء في التفسير أن معنى (دكاً دكاً) [دكا] بعد دك وأن الدك كرر عليها حتى صار هباء منثوراً، وأن معنى: ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، أنه تنزل ملائكة كل سماء

يصطفون صفا بعد صف، محدقين بالإنس والجن. وعلى هذا فليس الثاني منهما تكراراً للأول، بل المراد به التكثير، نحو: جاء القوم رجلاً رجلاً، وعلمته الحساب باباً باباً.

قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ١ ﴾ [الواقعة: ١]، ﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ [الواقعة: ٤]، أن ﴿ رُجَّتِ ﴾، بدل من ﴿ وَقَعَتِ ﴾، وكررت «إذا» تأكيداً لشدة امتزاج المضاف بالمضاف إليه.

ويكون في اسم الفعل، كقوله تعالى: ﴿ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ٣٦ ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

وفي الجملة نحو: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا٦ ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، ولكون الجملة الثانية للتوكيد سقطت من مصحف ابن مسعود ومن قراءته.

والأكثر فصل الجملتين بثم كقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ١٨ ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٨]، ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ٤ ﴾ [التكاثر: ٣ - ٤].

* * *

[ما يلتحق بالتأكيد الصناعي]

ويلتحق بالتأكيد الصناعي أمور:

تأكيد الفعل بالمصدر ومنه قوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءً مَّوۡفُورًا٦٣ ﴾ [الإسراء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا١٦٤ ﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا١٠ ﴾ [الطور: ٩ - ١٠]، ﴿ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ [النمل: ٨٨].

﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً١٤ ﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا١ ﴾

[الزلزلة: ١]، ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾ [يوسف: ٥]، وهو كثير.

قلت: وكذا قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا ﴾ [النمل: ٥٠].

وأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا٩ ﴾ [نوح: ٩]، فمفعول ﴿أَسۡرَرۡتُ﴾، محذوف أي: الدعاء والإنذار ونحوه.

وقد يضاف الوصف إلى المصدر فيعطى حكم المصدر قال تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

في أدوات التأكيد
[مؤكدات الجمل الاسمية]

الأول: التأكيد بـ «إن» قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ [فاطر: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ١ ﴾ [الحج: ١]، وهي أقوى من التأكيد باللام.

ومثله في النهي عن الدعاء لمن وجبت شقاوته، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ٧٦ ﴾ [هود: ٧٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣]، فإن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾، أورث للمخاطب حيرة: كيف لا ينزّه نفسه مع كونها مطمئنة زكية! فأزال حيرته بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ ﴾، في جميع الأشخاص﴿ بِٱلسُّوٓءِ ﴾، إلا المعصوم.

الثانى : <<أنّ>> المفتوحة هى حرف المؤكد، <<إنّ>> المكسورة؛ فإن التأكيد فى المكسورة للإسناد؛ وهذه لأحد الطرفين.

الثلث: <<كأنّ>> فيها التشبيه المؤكد إن كانت بسيطة، وإن كانت مركبة من كاف التشبيه <<أنّ>> فهى متضمنة لأنّ فيها ما سبق وزيادة.

الرابع : <<لكنّ>> لتأكيد الجمل.

الخامس : لام الإبتداء، نحو : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ٣٩﴾[إبراهيم: 39]، وهى تفييد تأكيد.

أنّ اللام لتوكيد الخبر <وإنّ> لتأكيد الاسم؛ وفيه تجوز، لأن لتأكيد إنما هو للنسبة لا للاسم والخبر.

تأكيد الضمير، كقوله تعالى: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: 112].

منها «هاء» التنبيه في النداء، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا﴾، إذا قلت «يأيها» وصار الاسم تنبيها.

«يا» الموضوعة للبعيد إذا نودي بها القريب الفطن، إنه للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جداً.

«الواو» أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة لتأكيد ثبوت الصفة بالموصوف، كما تدخل على الجملة الحالية، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٢]، والصحيح أن الجملة الموصوف بها لا تقترن بالواو، لأن الاستثناء المفرغ لا يقع في الصفات، بل الجملة حال من «قرية»؛ لكونها عامة بتقديم «إلّا» عليها.

«إما» المكسورة كقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدَى ﴾ [البقرة: ٣٨]، أصلها «إن» الشرطية زيدت «ما» تأكيداً. أن سبب اللحاق نون التوكيد.

«أما» المفتوحة، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٦]، إنها تفيد التأكيد.

«ألا» الاستفتاحية، في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ ﴾

[البقرة: ١٢]، ويدل عليه قولهم: إنها للتحقيق، أي: تحقيق الجملة بعدها، وهذا معنى التأكيد. ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم، نحو: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

«قد» فإنها حرف تحقيق وهو معنى التأكيد قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، **معناه: [حصل له الهدى] لا محالة.**

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء: ٨٩]، **وفي قوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ ﴾ [البقرة: ٦٥]، **«قد» في الجملة الفعلية المجاب بها القسم، مثل «إن» واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التأكيد.**

وتدخل على الماضي نحو: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩].

والمضارع نحو: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور: ٦٤]، **دخلت «قد» لتوكيد العلم.**

*   *   *

السين التي للتنفيس، قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، **معنى السين: أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخر إلى حين.**

في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١]، **«السين» تفيد وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: «سأنتقم منك يوماً»، يعني: أنك لا تفوتني وإن تبطأت.**

ونحوه: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٢]، **لكن قال: في قوله تعالى:** ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، **معنى**

الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير، أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر.

أن السين موضوعه للدلالة على الوقوع مع التأخر.

أن السين يحصل بها ترتيب الفائدة لأنها تفيد أمرين الوعيد والإخبار.

* * *

النون الشديدة، وهي بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات، وبالخفيفة فهي بمنزلة ذكره مرتين.

قيل: وهذان النونان لتأكيد الفعل في مقابلة تأكيد الاسم بـ «إن» واللام، ولم يقع في القرآن التأكيد بالخفيفة إلا في موضعين: ﴿ وَلَيَكُونَا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ٣٢ ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ١٥ ﴾ [العلق: ١٥].

ولما لم يتجاوز الثلاثة في تأكيد الأسماء فكذلك لم يتجاوزها في تأكيد الأفعال، قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا١٧ ﴾ [الطارق: ١٧]، لم يزد على ثلاثة: مهل، وأمهل، ورويداً. كلها بمعنى واحد، وهن: فعلان واسم فعل.

«لن»، لتأكيد النفي كـ «إن» في تأكيد الإثبات، فتقول: لا أبرح فإذا أردت تأكيد النفي قلت: لن أبرح.

ولذلك قال تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهو مخصص بدار الدنيا.

[إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل]

إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل، قُدِّم الاسم المفرد، ثم الظرف أو عديله، ثم الجملة، كقوله تعالى: ﴿...ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ٤٦ ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦]، فقوله: ﴿ وَجِيهٗا ﴾، حال وكذلك

﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وقوله: ﴿يُكَلِّمُ﴾، وقوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فهذه أربعة أحوال انتصبت عن قوله «كلمة»، والحال الأولى جيء بها على الأصل اسماً صريحاً، والثانية في تأويله جار ومجرور، وجيء بها هكذا لوقوعها فاصلة في الكلام، ولو جيء بها اسماً صريحاً لناسبت الفواصل، والثالثة جملة فعلية، والرابعة جار ومجرور.

[في اجتماع التابع والمتبوع]

في اجتماع التابع والمتبوع أنهم يقدمون المتبوع فيقولون: أبيض ناصع، وأصفر فاقع، وأحمر قان، وأسود غربيب. قال الله تعالى: ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ [البقرة: ٦٩]، والمعنى: أن التبع فيه زيادة الوصف، فلو قدَّم لكان ذكر الموصوف بعده عيباً، إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه.

والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم «الغرابيب» هو تناسب الكلم وذلك بتقديم «الغرابيب» على «السود» فوقع في لفظ «الغرابيب» حظ المعنى في زيادة الوصف.

[عند تكرار النعوت لواحد]

إذا تكررت النعوت لواحد، فتارة يترك العطف، كقوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ١٠ - ١١]، وتارة تشترك بالعطف كقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ ﴾ [الأعلى: ١ - ٢]، ويشترط في ذلك اختلاف معانيها دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة.

والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات، نحو: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]، وإلَّا فلا.

[الإيضاح بعد الإبهام]

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ

مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وأعاد قوله: ﴿أَرۡبَعِينَ﴾، وإن كان معلوماً من «الثلاثين» و«العشر» أنها أربعون لنفي اللبس؛ لأن العشر لما أتت بعد الثلاثين، التي هي نصّ في المواعدة، دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة، فأعاد ذكر «الأربعين» نفياً لهذا الاحتمال، وليُعلم أن جميع العدد للمواعدة.

[قصد تقوية داعية المأمور]

كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولم يقل: «عليّ». وحين قال ﴿عَلَى اللهِ﴾، لم يقل: «إنه يحب»، أو «إني أحب»، تقوية لداعية المأمور بالتوكل بالتصريح باسم المتوكل عليه.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ٢٨٢﴾.

[البقرة: ٢٨٢]

[تعظيم الأمر]

كقوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾.

[العنكبوت: ١٩ - ٢٠]

وقوله: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ [الإنسان: ١ - ٢]، ولم يقل: «خلقناه» للتنبيه على عظم خلقه للإنسان.

[أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف]

كقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي

الأُمِّي الذي يؤمن بالله.

[التنبيه على علة الحكم]

كقوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾. [البقرة: ٥٩]

وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ٩٨ ﴾ [البقرة: ٩٨]، أعلمنا أنه من كان عدوا لهؤلاء فهو كافر، هذا إن خيف الإلباس لعوده للمذكورين.

[قصد العموم]

كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٧]، ولم يقل: «استطعمهم» للإشعار بتأكيد العموم، وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها إلا استطعماه وأبى، ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء، وفيه التنبيه على محاسن الأخلاق، ودفع السيئة بالحسنة.

[قصد الخصوص]

كقوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ولم يقل: «لك»؛ لأنه لو أتى بالضمير لأخذ جوازُه لغيره، كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية، وأنه ليس لغيره ذلك.

[الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى]

كقوله تعالى: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ [الشورى: ٢٤]، فإنَّ ﴿يَمْحُ﴾ استئناف، وليس عطف على الجواب؛ لأن المعلّق على الشرط عدم قبل وجوده، وهذا صحيح في ﴿ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ ﴾، وليس صحيحا في ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾، لأن محو الباطل ثابت فلذلك أعيد الظاهر وأما حذف الواو من الخط فللفظ وأما حذفها في الوقف كقوله تعالى: ﴿ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر: ٦]، و ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ١٨ ﴾

[العلق: ١٨]، فللوقف. ويؤكد ذلك وقوف يعقوب عليها بالواو.

قد سبق أنه لا يشترط في وضع الظاهر موضع المضمر أن يكون بلفظ الأول، ليشمل مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا٣٠ ﴾ [الكهف: ٣٠].

[ما جاء على فعلان]

أما <فَعلان> فهو أبلغ من <فعيل> ومن ثم قيل : الرحمن أبلغ من الرحيم - وإن كانت صيغة <فعيل> - من جهة أن <فَعلان> من أبنية المبالغة؛ كغضبان للممتلى غضباً. وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا٩٢﴾ [مريم: 92]. أى وما يمبغى للعظيم القادر على كل شئ، المستغنى عن معاونة الولد وغيره أن يتخذ ولدا.

ومنها أن أسماءَ الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة فى حقه، والنهاية فى صفاته؛ وأكثرُ صفاته سبحانه جارية على <فعيل>، كرحيم، وقدير وعليم، وحكيم، وحليم، وكريم ولم يأت على <فَعلان> إلا قليل . ولو كان <فَعلان> أبلغ لكان صفات البارى تعالى عليه أكثر.

<فَعلان> بصيغة التكثير كان فى عدم تكرار الوصف به، بخلاف <فعيل> فإنه لما لم يرق فى الكثرة رقته كُثر فى مجىء الوصف.

منها : أنه إن كانت المبالغة فى <فَعلان> من جهة موافقة لفظ التثنية.

[ما جاء على فعيل]

تجىء اللفظة الدالة على التكثير والمبالغة بصيغ من صيغ المبالغة كفعّال وفعيل وفعلان؛ فإنه أبلغ من <فاعل> ويجوز أن يُعدّ هذا من أنواع الاختصار؛ فإن أصله وضع لذلك، فإن <ضَروبا> ناب عن قولك : <ضارب وضارب وضارب>.

وأما «فعيل» فعند النحاة أنه من صيغ المبالغة والتكرار، كرحيم، وسميع، وقدير، وخبير، وحفيظ، وحكيم، وحليم، وعليم؛ فإنه محول عن «فاعل» بالنسبة، وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به،

بدليل قولهم: قتيل وجريح، والقتل لا يتفاوت.

وقد يجيء في معنى الجمع كقوله تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ ﴾ [التحريم: ٤]، وقوله: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠]، وغير ذلك.

ومن المشكل: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤ ﴾ [مريم: ٦٤]، فإن النفي متوجه على الخبر وهو صيغة مبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل، فلا يلزم نفي أصل النسيان، وهو كالسؤال الآتي في «ظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ».

[ما جاء على فعال]

وأما فعال، فنحو : غفّار، ومنان، وتواب، ووهّاب، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: 16]، ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: 116]، سبحانه وتعالى قال في موضع آخر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ [الجن: 26] فقابل صيغة <فاعل> الدالة على أصل الفعل بالواحد.

وأما < فعال> بالتخفيف والتشديد، نحو عجاب وكبار، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥﴾ [ص: 5]، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ٢٢﴾ [نوح: 22]

[ما جاء على فَعُول]

وأما «فَعُول» كغفور، وشكور، وودود، فمنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقوله تعالى في نوح: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ ﴾ [الإسراء: ٣].

وقد أطربني قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ [الإنسان: ٣]، كيف غاير بين الصفتين وجعل المبالغة من جانب الكفران؟.

وقوله تعالى: ﴿ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ ﴾ [القمر: ٢٥]، قرن «فَعِلا» بفَعَّال.

[ما جاء على فَعُل]

وأما «فَعُل» فيكون صفة، كقوله تعالى: ﴿ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ ﴾ [البلد: ٦]، اللبد: الكثير، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ ﴾ [المدثر: ٣٥].

ويكون مصدر كهُدى وتُقى، ويكون معدولاً عن «أَفْعَل» من كذا. كقوله تعالى: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، كما قال: ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

[ما جاء على فُعْلى]

وأما فُعْلى فيكون اسما كالشورى والرجعى قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ ﴾ [العلق: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ [التوبة: ٤٠].

ويكون صفة كالحسنى في تأنيث الأحسن، والسوأى في تأنيث الأسوأ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ١٠].

و <الفُعْلى> فى هذا الباب وإن كانت فى الأصل صفة، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ﴾ [الأنفال: 42]، ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ ﴾ [النازعات: 20]

[المثنى وإرادة الواحد] (*)

كقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج من أحدهما.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر: ١٢]، وإنما تخرج الحلية من «الملح»، ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٢].

قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، إن ظاهر اللفظ يقتضي. أن يكون من مكة والطائف جميعاً، ولما لم يمكن أن يكون منهما، دلَّ المعنى على تقدير: «رجل من إحدى القريتين».

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦]. «أي في إحداهن». وقوله تعالى : ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: 61]، والناسى كان يوشع، بدليل قوله لموسى ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: 63]، ولكن أضيف النسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه.

[إطلاق الجمع وإرادة الواحد]

كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، إلى قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، قال أبو بكر الصيرفي: فهذا خطاب للنبي وحده؛ إذ لا نبي معه، ولا بعده..

ومثله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية. وهذا مما لا شريك فيه، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لما

كانت تصاريف أقضيته سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه، نزلت أفعالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع.

ثم تارة يكون التكرار مرتين على وجه التأكيد كقوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ﴾ [المدثر: ١٩ - ٢٠].

وقوله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ٣٥ ﴾ [القيامة: ٣٤ - ٣٥].

وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ٧ ﴾.

[التكاثر: ٦ - ٧]

وقوله: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥ ﴾ [النبأ: ٤ - ٥].

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن فقال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ ﴾ [القصص: ٥١].

وقال: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ١١٣ ﴾ [طه: ١١٣].

[فوائد التكرير]

وله فوائد:

التأكيد؛ واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد، لأنه وقع فى تكرار التأسيس؛ وهو أبلغ من التأكيد، فإن التأكيد إرادة الأول وعدم التجوز، قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ٥ ﴾.[التكاثر: 5-3] : إن الثانية التأسيس لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ فى الإنشاء فقال: وفى ﴿ثُمَّ﴾ تنبيه على أن الإنذار أبلغ من الأول.

كذا قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾.

[الانفطار: ١٧ - ١٨]

وقوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ﴾ [المدثر: ١٩ - ٢٠]، يحتمل أن يكون منه، وأن يكون من المتماثلين.

والحاصل أنه: هل هو إنذار تأكيد أو إنذاران.

ومنه تكرار القصص فى القرآن: كقصة إبليس فى السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبيا، قال بعضهم: ذكر الله موسى فى مائة وعشرين موضعا من كتابه. ذكر الله قصة نوح فى خمسة وعشرين آية، وقصة موسى فى سبعين آية. انتهى.

ماالحكمة فى تكرر قصة يوسف عليه السلام، وسوقها مساقاً واحداً فى موضع واحد، دون غيرها من القصص؟

فيها من تشبيب النسوة به، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا، وأرفعهم مثالا، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك. وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديثا مرفوعا: النهى عن تعليم النساء سورة يوسف.

فتأمل هذا الفصل وعظَم فوائده وتدبر حكمته، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم، كقوله تعالى : ﴿ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: 15]، فأعاد ذكر <الأنهار> مع كل صنف؛ وكان يكفى أن يقال فيها: <انهار من ماء، ومن خمر، ومن عسل>؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة؛ وفيما عدا الماء مجازا للتشبيه؛ فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقى عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز.

وقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلف زيد في لفظ فعلها.

[القَسَم]

وقسمه بالنبي في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ [الحجر: ٧٢]، ليعرف الناس عظمته عند الله، ومكانته لديه. والقَسَم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة أو لمنفعة، فالفضيلة كقوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ٢ - ٣]، والمنفعة نحو: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١].

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمر:

فالمظهر : كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ونحوه.

فوائد:

الأولى: أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن، لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل، كقوله تعالى :﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ [النحل: ٣٨]، ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦٢]. ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلاً، وعليه حمل بعضهم قوله :﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال: الباء باء القسم، وليست متعلقه بـ «تشرك»، وكأنه يقول: «يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ»، ثم ابتدأ فقال: ﴿ بِٱللَّهِۖ ﴾، لا تشرك. وحذف «لا تُشْرِكْ»، لدلالة الكلام عليه. وكذلك قوله: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، قيل: إن قوله: «بما عهد» قَسَم. والأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ ﴾ [الصافات: 3-1]، ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ ﴾ [المرسلات: 5-1]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾ [النازعات: 6-1]

[إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جمله]

وكقوله تعالى :﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، يعنى: والجمل لا يلج في السم، فهؤلاء لا يدخلون، فهو في المعنى متعلق بالحال، فالمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً، وليس

للغاية هنا مفهوم، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء ببينة؛ لأنه جعل ولوج (دخل فيه-يلج) الجمل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة، وتلك غاية لا توجد، فلا يزال دخولهم الجنة منتفياً.

[الاستثناء والاستدراك]

ووجه التأكيد فيه أنه ثنى ذكره مرتين، مرة في الجملة، ومرة في التفصيل.

فإذا قلت: قام القوم إلا زيداً، فكأنه كان في جملتهم ثم خرج منهم، كقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١]، فإن فيه معنى زائداً على الاستثناء، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس، من كونه خرق إجماع الملائكة وفارق جميع الملأ الأعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧]، فإنه سبحانه لما علم أن وصف الشقاء يعم المؤمن العاصي والكافر، استثنى مَنْ حكم بخلوده في النار بلفظ مطمع، حيث أثبت الاستثناء المطلق، وأكده بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ١٠٧ ﴾ [هود: ١٠٧]، أي: أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار. ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء، حيث قال ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ١٠٨ ﴾ [هود: ١٠٨]، أي غير منقطع، ليعلم أن عطاءه لهم الجنة غير منقطع. وهذه المعاني زائدة على الاستثناء اللغويّ.

وقيل: وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية، ويؤيده قول بعض الصحابة:

[المبالغة]

وهي أن يكون للشيء صفة ثابتة؛ فتزيد في التعريف بمقدار شدته

أو ضعفه؛ فيدعى له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع، أو يحيل عقله ثبوته.

ومن أحسنها قوله تعالى :﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: ٤٠]، وهي ظلمة البحر وظلمة الموج فوقه، وظلمة السحاب فوق الموج.

ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ ﴾ [المرسلات: ٣٢ - ٣٣].

ومنها: قصْد التنزيه، كقوله تعالى :﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧ ﴾ [النحل: ٥٧]، فاعتراض ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾، لغرض التنزيه والتعظيم، وفيه الشناعةُ على من جعل البنات لله.

ومنها : قصد التبرك، وكقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وبضدها تتبين الأشياء :

ومنها: الإدلاء بالحجة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤]، فاعترض بقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ ﴾، بين قوله: ﴿ نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾، وبين قوله: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾، إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

وقوله: ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ ﴾ [هود: ٤٤]، فهذه ثلاث جمل معترضة بين ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ ﴾ [هود: ٤٤]، وبين ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ [هود: ٤٤].

وفيه اعتراض في اعتراض فإن ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾، معترض بين ﴿

وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ وبين ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ ﴾.

ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض كقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾ [الواقعة: ٧٦].

[الاحتراس]

وهو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال، كقوله تعالى: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ ﴾ [القصص: ٣٢]، فاحترس سبحانه بقوله: ﴿ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ ﴾، عن إمكان أن يدخل في ذلك البَهَق (مرض جلد) والبَرَص.

وقوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة، وهو السهولة لتُوهم أن ذلك لضعفهم، فلما قيل: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾، علم أنها منهم تواضع، ولهذا عدي الذل بـ ﴿على﴾ لتضمنه معنى العطف.

وكذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾.

[الفتح: ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ [النمل: ١٨]، فقوله ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾، احتراس بين أن من عدل سليمان وفضله، وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها، إلا بألَّا يشعروا بها.

وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلام: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ ﴾ [القصص: ٤٤] الآية.

وقوله تعالى: ﴿ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، لأنه لما كان

يحتمل معنى [كيف]، و[أين]، احترس بقوله: ﴿ حَرۡثَكُمۡ﴾، لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع، وهو المحل المخصوص.

[التذييل]

<u>مصدر «ذيل»، وهي لغة، جعلُ الشيء ذيلاً للآخر.</u> واصطلاحاً أن يـؤتى بعـد تمـام الكلام بكلام مسـتقل في معـنى الأول، تحقيقـاً لدلالـة منطوق الأول، أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه.

كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ ﴾ [سبأ: ١٧]، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ١٧ ﴾ [سبأ: ١٧]، أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة.

وقوله :﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا٨١ ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ٣٤ ﴾.

[الأنبياء: ٣٤]

[التتميم]

<u>وهو أن يتم الكلام، فيلحق به ما يكمّله، إما مبالغة، أو احترازاً، أو احتياطاً.</u>

وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحاً، كقوله تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا ﴾ [الإنسان: ٨]، فالتتميم في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾، جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه.

وكذلك قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [النساء: ١٢٤]، فقوله: ﴿ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾، تتميم في غاية الحسن.

[في حروف الزيادة]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي كالباء في خبر «ليس» و«ما»، أو للتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ.

وحروف الزيادة سبعة: إنْ وأن، ولا، وما، ومن، والباء، واللام بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة، لا أنها لازمة للزيادة. ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها، فقد زادوا الكاف وغيرها؛ بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها.

* * *

[زيادة «إن»]

فأما «إنْ» الخفيفة فتطرد زيادتها مع ما النافية.

وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، أنها زائدة. وقيل نافية والأصل: «في الذي ما مكناكم فيه»، بدليل: ﴿ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ [الأنعام: ٦]، وكأنه إنما عدل عن «ما» لئلا تتكرر فيثقل اللفظ.

إن الخفيفة زائدة، فجمعوا بينها وبين ما النفية، تأكيد للنفى، فهو بمنزلة تكرارها، وقيل : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: 26]: أنها زائدة. وقيل نافية؛ والأصل <فى الذى ما مكنا كم فيه> بدليل : ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ [الأنعام: 6]؛ وكأنه انما عدل عن <ما> لئلا تتكرر فيَثْقُل اللفظ.

[زيادة «أن»]

وأما أن المفتوحة فتزاد بعد لما الظرفية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن

جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وإنما حكموا بزيادتها؛ لأن «لما» ظرف زمان، ومعناها: وجود الشيء لوجود غيره.

من زيادتها قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، ﴿ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. وقيل: بل هي مصدرية والأصل: «وما لنا في ألا نفعل كذا»! فليست زائدة؛ لأنها عملت النصب في المضارع.

[زيادة «ما»]

<u>وأما «ما» فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر فتزاد بعد «من» و«عن» غير كافة لهما عن العمل، وتزاد بعد الكاف: وربّ، والباء كافة [تارة]، وغير كافة أخرى.</u>

والكافة إما أن تكف عن عمل النصب والرفع، وهي المتصلة بإن وأخواتها، نحو: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [الأنفال: ٦]، وجعلوا منها ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر: ٢٨]، ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى «الذي»، قوله تعالى: ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ﴾ [النساء: ٣].

وإما أن تكفَّ عن عمل الجر، كقوله تعالى :﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقيل: بل موصولة، أي: «كالذي هو لهم آلهة».

وتزاد بعد أداة الشرط، جازمة كانت، نحو : ﴿فَتِيلًا ٧٧ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [النساء: 78]: أو غير جازمة، نحو ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ ﴾ [فصلت: 20].

[زيادة «لا»]

وأما «لا» فتزاد مع الواو بعد النفي، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي

ﭐلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾ [فصلت: ٣٤]، لأن «استوى» من الأفعال التي تطلب اسمين، أي: لا تليق بفاعل واحد، نحو «اختصم» فعُلم أن «لا»، زائدة. وقيل: دخلت في السيئة لتحقق أنه لا تساوي الحسنة السيئة، ولا السيئة الحسنة.

وتزاد بعد «أن» المصدرية، كقوله: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الحديد: ٢٩]، أي: ليعلم، ولولا تقدير الزيادة لانعكس المعنى؛ فزيدت «لا» لتوكيد النفي.

وإذا كانوا قد زادوا «لا» في الموجب المعنى لما توجه عليه فعل منفي في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾ [الأعراف: ١٢]، المعنى «أن تسجد»، فزاد «لا» تأكيداً للنفي المعنوي الذي تضمنه «منعك»؛ فكذلك تزاد «لا» في العلم المُوجب توكيداً للنفي الذي تضمنه الموجه عليه.

ومنه: ﴿ مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ ﴾ [طه: ٩٢ - ٩٣].

وقيل: وقد تزاد قبل القسم، نحو: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿ ۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ ﴾ [القيامة: ١]، أي: أقسم بثبوتها. وضُعّف في الأخيرة بأنها وقعت صدراً، بخلاف ما قبلها، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها.

واختُلف في قوله تعالى: ﴿ ۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. فقيل: زائدة ليصح المعنى، لأن المُحَرَّم الشرك. وقيل: نافية أو ناهية. وقيل: الكلام تم عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُم﴾، ثم ابتدأ: ﴿ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ ﴾.

وقوله تعالى : ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾[الأنبياء: 95]، وقيل : <لا> زائدة ، والمنع: ممتنع على أهل قرية قدّرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة.

* * *

[زيادة «من»]

وأما «من» فإنها تزاد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه، نحو: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، فـ «ما» في هذين الموضعين زائدة، إلا أن فيها فائدة جليلة، وهي أنه لو قال: فبرحمة من الله لنت لهم، وبنقضهم لعنَّاهم، جوَّزنا أنَّ اللِّين واللَّعن كانا للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل «ما» في الموضوعين قطعنا بأن اللِّين لم يكن إلا للرحمة، وأن اللَّعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق.

[زيادة «الباء»]

وأما «الباء» فتزاد في الفاعل، نحو: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٤٣]، أي: كفى الله، ونحو: «أحسن بزيد!»، إلا أنها في التعجب لازمة، ويجوز حذفها في فاعل ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد: ٤٣]، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وإنما هو: «كفى الله»، و«كفانا».

[زيادة «اللام»]

وأما «اللام» فتزاد معترضة بين الفعل ومفعوله.

واختلف في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، فقيل: زائدة، وقيل: للتعليل والمفعول محذوف، أي: يريد الله التبيين وليبيِّن لكم ويهديكم، أي: فيجمع لكم بين الأمرين.

وتزاد لتقوية العامل الضعيف إما لتأخره نحو: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ

هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ١٥٤ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ونحو: ﴿ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ٤٣ ﴾ [يوسف: ٤٣].

أو لكونه فرعاً في العمل، نحو: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمۡ ﴾ [البقرة: ٩١]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ١٠٧﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ١٦ ﴾ [المعارج: ١٦].

وقيل منه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾ [طه: ١١٧]، وقيل: بل يتعلق بمستقر محذوف صفة لعدو، وهي للاختصاص.

وقد اجتمع التأخر والفرعية، في نحو: ﴿ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ٧٨ ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

* * *

[التعليل]

بأن يذكر الشيء معللا؛ فإنه أبلغ من ذِكره بلا علة، لو جهين:

أحدهما: أن العلة المنصوصة قضية بعموم المعلول؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس فى العلة المنصوصة.

الثانى: أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة، بخلاف غيرها، وغالب التعليل فى القرآن، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة.

ومنه : ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53]، ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ١ ﴾ [الحج: 1]، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ ﴾ [التوبة: 103].

<u>الإتيان بـ «إن»،</u> كقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ١٩٩ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿ فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠].

وكقوله تعالى : ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ٧٦ ﴾ [يس: 76]، وليس هذا من قولهم، لأنه لو كان قولهم لما حَزِن الرسول، وإنما جئ بالجملة لبيان العلة والسبب فى أنه لا يحزنه قولهم.

وقد يكون علة كقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا٦٦ ﴾ [الفرقان: 65-66] وفيها وجهان لأهل المعانى.

أحدهما : لصرف العذاب معلّل بأنه غرام ، أى ملازم الغريم، وبأنها ساءت مستقرا ومقاما.

* * *

[أسباب الحذف]

أوجه الكلام على الحذف

وبقع الكلام فى الحذف من الحذف من خمسة أوجه : وفى أسبابه، ثم فى أدلته، ثم فى شروطه، ثم فى أقسامه.

أسبابه الحذف:

فمنها : مجرد الاختصار ولاحتراز عن العبث بناء على الظاهر،

وفمنها : التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف،

وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ ﴾ [الشمس: ١٣]، على التحذير، أي: احذروا ناقة الله فلا تقربوها، و﴿سقياها﴾ إغراء بتقدير الزموا ناقة الله.

ومنها: التفخيم والإعظام.

قلت ومنه: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ ﴾ [طه: ٧٨]، ما لا يعلم كنهه إلا الله. وهذا من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم المتحملة مع قلتها للمعاني الكثيرة.

ومنها: التخفيف لكثرة دورانه في كلامهم كما حذف حرف النداء في نحو: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ [يوسف: ٢٩].

ومنها: حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق، وقراءة من قرأ : ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [الحج: 35]، كأن النون ثابتة.

[تنبيهات]

الأول: قد توجب صناعة النحو التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه.

الثاني: في الحذف التدريج حيث أمكن؛ ولهذا قال في قوله تعالى: ﴿

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ [البقرة: ٤٨].

إن أصل الكلام : <يومَ لا تَجزِى فيه>

[حذف الفاعل]

المشهور امتناعه إلا فى ثلاثة مواضع :

أحدها : إذا بنى الفعل المفعول.

ثانيها : فى المصدر، إذا لم يذكر معه الفاعل؛ مظهراً يكون محذوفاً، ولا يكون مضمراً، نحو ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ ﴾ [البلد: 14]

ثالثها : كقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ٢٦ ﴾ [القيامة: 26]، أى بلغت الروح.

وقوله : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ٣٢ ﴾ [ص: 32] أى الشمس.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ ﴾ [الصافات: 177]، يعنى العذاب، لقوله فبله:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ١٧٦ ﴾ [الصافات: 176]،

أما حذفه وإقامة المفعول مقامه، مع بناء الفعل للمفعول أسباب:

منها العلم به، كقوله تعالى : ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴾ [الأنبياء: 37] ، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا٢٨ ﴾ [النساء: 28]، ونحن نعلم ان الله خالقه.

[حذف جواب القسم]

لعلم السامع المراد منه، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ٦ ﴾ [النازعات: ١ - ٦]، تقديره: لتبعثن ولتحاسبن، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم: ﴿ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ١٠ ﴾ [النازعات: ١٠].

وقيل: القسم وقع على قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٦].

وكقوله تعالى: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ [طه: ٧٢]، وحذف لدلالة الكلام السابق عليه.

[بالعلة والسببية]

كتقديم «العزيز» على «الحكيم»؛ لأنه عَزَّ فحكم، وتقديم «العليم» على «الحكيم»؛ لأن الإتقان ناشىء عن العلم، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

ويجوز أن يكون قدم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه وهو ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾، وفي غيره من نظائره، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله.

ومنه قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، قدمت العبادة، لأنها سبب حصول الإعانة.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فإن التوبة سبب الطهارة.

وكذا: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٧]، لأن الإفك سبب الإثم.

وكذا: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [المطففين: ١٢].

وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٤٩]، قدم إحياء الأرض، لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي، وقدم إحياء الأنعام، لأنه مما يحيا به الناس، بأكل لحومها وشرب ألبانها.

[بالرتبة]

كتقديم «سميع» على «عليم» فإنه يقتضي التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات، وإن مَنْ سَمِعَ حِسَّك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان عِلْمُ الله تعلّق بما ظهر وما بطن.

وكقوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فإن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله: ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]، لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، وهو قوله: ﴿ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]؛ فالرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخص بعضاً، والعموم قبل الخصوص بالرتبة.

وقوله تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١]، فإن الهماز هو المغتاب، وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النميمة.

وقوله: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: ٢٧]، فإن الغالب أن الذين يأتون رجالاً من مكان قريب، والذين يأتون على الضامر من البعيد. ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف، لأن الأجر في المشي مضاعف.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، مع أن الراكب متمكن من الصلاة أكثر من الماشي، فجبراً له في باب الرخصة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فقدَّم الطائفين لقربهم من البيت، ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون؛ لأنهم يخصُّون موضعاً بالعكوف والطواف بخلافه، فكان أعم منه والأعم قبل الأخص، ثم ثلث بالركوع، لأن الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده.

[بالداعية]

كتقدم الأمر يغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠]، لأن البصر داعية إلى الفرج لقوله : «العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

[التعظيم]

كقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [المائدة: ٥٥].

[الشرف وهو أنواع]

منها: شرف الرسالة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فإن الرسول أفضل من النبي.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

ومنها: شرف الذكورة:

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١].

وقوله: ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

ومنها: شرف الإيمان، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ

بِـٱلَّذِىٓ أُرۡسِـلۡتُ بِـهِۦ وَطَآئِفَـةٌ لَّـمۡ يُؤۡمِنُـواْ ﴾ [الأعراف: ٨٧]، **وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال.**

ومنها: شرف العلم، كقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر: ٩].

ومنها: شرف الحياة، كقوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡـرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَىِّ ﴾ [الروم: ١٩].

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَـدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُـلِهِۦ وَجِبۡرِيـلَ وَمِيكَىٰـلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، **لأن جبريل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضلُ من الخيرات الجسمانية.**

ومنه تقديم المهاجرين، في قوله تعالى: ﴿ لَّقَـد تَّـابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّـبِىِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَـارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، **ويدل على فضيلة الهجرة قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار» وبالآية احتج الصديق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم.**

ومنه قوله: ﴿ صَـلُّواْ عَلَيۡـهِ وَسَـلِّمُواْ تَسۡـلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، **فإن الصلاة أفضل من السلام، وقوله:** ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَـالَ عَلَىٰ حُبِّـهِۦ ذَوِى ٱلۡقُـرۡبَىٰ وَٱلۡيَـتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰـكِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، **قدم القريب؛ لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي.**

ومنه تقديم الوجه، في قوله تعالى: ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡـدِيَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٦].

وتقديم اليمين على الشمال، في نحو: ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِـينٍ وَشِـمَالٍۖ ﴾

[سبأ: ١٥]، ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ [قٓ: ١٧].

ومنه تقديم الأنفس على الأموال، في قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة: ١١١]، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأمول، فهو من باب السبق بالسببية.

ومنه :﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، فإن الحلق أفضل من التقصير.

[الغلبة والكثرة]

كقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [فاطر: ٣٢]، قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق.

وقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥ ﴾ [هود: ١٠٥].

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النور: ٢٦].

المدرج

وحقيقته فى أسلوب القرآن أن تجىء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها فى الظاهر معها، وهى فى الحقيقة غير متعلقة بها، كقوله تعالى ذا كرا عن بلقيس : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤﴾ [النمل:34]، هو من قول الله لا من قول المرأة.

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ﴾ [يوسف: 51]، انتهى قول المرأة، ثم قال يوسف عليه السلام : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: 52]، معناه ليعلم الملك أنى لم أخنه.

[تغليب الأشهر]

كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨ ﴾ [الزخرف: ٣٨]، أراد المشرق والمغرب، فغلَّب المشرق، لأنه أشهر الجهتين.

الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق، ولهذا قالوا في تثنية الأب والأم: أبوان وفي تثنية المشرق والمغرب: المشرقان؛ لأن الشرق دال على الوجود، والغرب دال على العدم، والوجود لا محالة أشرف، وكذلك القمران.

[من الغيبة إلى التكلم]

كقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [فصلت: ١٢].

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ٨٩ ﴾ [مريم: ٨٨ - ٨٩].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [فاطر: ٩]، وفائدته أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر، دالاً على القدرة الباهرة، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم، لأنه أدخل في الاختصاص، وأدل عليه وأفخم.

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن في إرسالها، ولم يذكر له سبباً، بخلاف سوق السحاب، وإنزال المطر، فإنه قد ذكر أسبابه: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ [فاطر: ٢٧]، ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾[النمل: ٦٠].

ومثله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [فصلت: ١٢]، عدل عن الغيبة في «قضاهن»، و«سواهن»، إلى التكلم في قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾، فقيل: للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً؛ تكذيباً لمن أنكر ذلك.

فائدة

[في تكرار الالتفات في موضع واحد]

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، في أربعة مواضع، فانتقل عن الغيبة في قوله: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿ بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿ليريه﴾، بالياء على قراءة الحسن، ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1].

[التضمين]

(أن يُضمن لفظ معنى لفظ آخر-أي ايقاع لفظ موقع غيره)

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال، وفي الحروف، فأما في الأسماء فهو أن تضمَّن اسماً معنى اسم؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً، كقوله تعالى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ضمَّن «حقيق» معنى «حريص» ليفيد أنه محقوق بقول الحقِّ وحريص عليه.

وقوله: ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [القصص: ٢٤]، ضمن معنى «سائل».

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [المطففين: ٢]. ضمن معنى «تحاملوا»، فعداه بـ «على»، والأصل فيه «من».

وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:249] و ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾[البقرة:46].

وقيل: آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد، والباقي بمعنى اليقين، والفَرْق بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك، بخلاف اليقين، وإن اشتركا جميعاً في وجوب الجزم بهما.

وأما الأفعال فأَنّ تضمَّن فعلاً معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً.

[وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي]

كقوله تعالى: ﴿ ۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ [الرعد: ٢٤].

﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقوله: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ [المائدة: ٨٩] الآية، ولهذا جعلها العلماء من أمثلة الواجب.

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، على قراءة نافع، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا.

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، قالوا: هو خبر، وتأويله نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، كقوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ٧٩ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، وكقوله: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، على قراءة الرفع، وقيل: إنه نهي مجزوم أعني – قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾،- ولكن ضمت إتباعا للضمير كقوله : «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم».

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ضمن ﴿ لَا تَعْبُدُونَ﴾، معنى: لا تعبدوا، بدليل قوله بعده: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وبه يزول الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر، لكن إن كان «حسناً» معمولاً لأحسنوا، فعطفُ «قولوا»، عليه أولى لاتفاقهما لفظاً ومعنى، وإن كان التقدير: «ويحسنون»، فهو الذي قبله، والعطف على القريب أولى. وقيل: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾، أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي يسارع إلى الانتهاء، فهو مخبر عنه.

وضع الطلب موضع الخبر

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ [مريم: ٧٥].

الأمر بمعنى الخبر

وقوله: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [التوبة: ٥٣].

وقوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾.

[البقرة: ١٢٥]

وضع النداء موضع التعجب

كقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ ﴾ [يس: ٣٠]. قال الفراء: معناه: فيا لها من حسرة، والحسرة في اللغة: أشد الندم؛ لأن القلب يبقى حسيراً.

وضع جمع القلة موضع الكثرة

لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض؛ لاشتراكها في مطلق الجمعية،

كقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ٣٧ ﴾ [سبأ: ٣٧]، فإن المجموع بالألف والتاء للقلة، وغرف الجنة لا تحصى.

وقوله: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، ورُتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة.

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله: ﴿ وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ [النمل: ١٤]، وهو كثير.

تذكير المؤنث

يكثر في تأويله بمذكر، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، على تأويلها بالوعظ.

وقوله: ﴿ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ ﴾ [قٓ: ١١]، على تأويل البلدة بالمكان، وإلا لقال: «ميتة».

وقوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨]، أي الشخص أو الطالع.

وقوله: ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، أي: بيان ودليل وبرهان.

وقوله: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾ [الأنعام: ٦].

وإنما يترك التأنيث كما يترك في صفات المذكر، لا كما في قولهم: امرأة معطار؛ لأن السماء بمعنى المطر: مذكر.

وقوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ ﴾ [النساء: ٨]، إلى قوله: ﴿ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ [النساء: ٨]، ذكر الضمير، لأنه ذهب بالقسمة إلى المقسوم.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾

[النحل: ٦٦]، ذهب بالأنعام إلى معنى النعم، أو حمله على معنى الجمع.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ولم يقل: «قريبة». قال الجوهري: ذكرت على معنى الإحسان.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ٧٨ ﴾ [يس: ٧٨]، ولم يقل: «رميمة»، لأنه معدول عن فاعله، وكلما كان معدولاً عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعلة، كقوله: ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا٢٨ ﴾ [مريم: ٢٨]، أسقط الهاء، لأنها مصروفة عن «باغية».

تأنيث المذكر

كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون: ١١]، فأنث «الفردوس»، وهو مذكر، حملاً على معنى الجنة.

وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأنث «عشر»، حيث جرَّدت من الهاء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدها مذكر، وفيه أوجه:

أحدها: أنث لإضافة الأمثال إلى مؤنث، وهو ضمير الحسنات والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه، فتكون كقوله: ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ [يوسف: ١٠].

والثاني : هو من باب مراعاة المعنى، لأن الأمثال في المعنى مؤنثة؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة، فلما أريد توكيد الإحسان إلى المطيع، وأنه لا يضيع شيء من علمه، كأن الحسنة المنتظرة واقعة، جعل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع وإشارة إليه.

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات، ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ

فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [النمل: ٨٧].

وقوله في الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ [الكهف: ٤٧]، أي نحشرهم.

وقوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾ [الأعراف: ٤٨]. ثم تارة يجعل المتوقع فيه كالواقع، فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به المضي، تنزيلاً للمتوقع منزلة ما وقع، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي، بل جعل المستقبل ماضياً مبالغة.

ومنه: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١]. ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ونحوه.

إبدال

من كلامهم إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض يقولون: مدحه ومدهه، وهو كثير، قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]، فقال: فالراء واللام متعاقبان، كما تقول العرب: فلق الصبح وفرقه. أنه قال في قوله تعالى: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ [الإسراء: ٥]، إنما أراد «فحاسوا» فقامت الجيم مقام الحاء.

«فحاسوا» بالحاء غير الجيم. فقلت: إنما هو «فحاسوا». قال: حاسوا و جاسوا واحد، ويعنى أن اللفظين بمعنى واحد.

قواعد في النفي

اعلم أن نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيا للذات. وانتفاء النهي عن الذات الموصوفة قد يكون نهيا عن الذات وقد يكون نهيا عن الصفة دون الذوات قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣]، فإنه نهى عن القتل بغير الحق. وقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

ومن الثاني قوله: ﴿ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم ميتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام كقول القائل: لا تصل إلا وأنت خاشع فإنه ليس نهيا عن الصلاة بل عن ترك الخشوع.

وقوله: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] الآية.

وقد ذكروا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام:

الأول: بنفي المسند نحو، ما قام زيد بل قعد ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فالمراد نفي السؤال من أصله لأنهم متعففون ويلزم من نفيه نفى الإلحاف.

الثاني: أن ينفى المسند إليه، فينتفي المسند، نحو ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود لأنه يلزم من عدم زيد نفي القيام ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ٤٨ ﴾ [المدثر: ٤٨]، أي: لا شافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم.

نفي الشيء رأساً

لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته، كقوله تعالى في صفة أهل

النار: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه: ٧٤]، فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة كقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢]، أي ما هم بسكارى مشروب ولكن سكارى فزع.

وقوله: ﴿ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، وهم قد نطقوا بقولهم :﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا.

وقوله: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقوله: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

ومنه: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢].

قاعدة

اعلم أن نفي العام يدلّ على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ولا يدل نفيه على نفيه، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧]، ولم يقل: «بضوئهم»، بعد قوله: «أضاءت»، لأن النور أعم من الضوء؛ إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال: الضوء على النور الكثير، ولذلك قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥]، ففي الضوء دلالة على الزيادة، فهو أخصُ من النور، وعدمه لا يوجب عدم الضوء، لاستلزام عدم العام عدم الخاص، فهو أبلغ من الأول، والغرض إزالة النور عنهم أصلاً، ألا ترى ذكره بعده ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٧].

وهاهنا دقيقة وهي أنه قال: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧]، ولم يقل: «أذهب نورهم»، لأن الإذهاب بالشيء إشعار له بمنع عودته،

بخلاف الذهاب؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب، ومقتضى منعه من الرجوع.

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد

كقوله: ﴿ ۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهو يعلم أنه على الهدى، وأنهم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تقاضياً ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب (ريب).

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١].

ونحوه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. أورده على طريق الاستفهام، والمعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في المخايل: ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، تهالكاً على الدنيا ؟.

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن، كقوله تعالى :﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [المائدة: ٥٢].

و ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ ﴾ [الإسراء: ٨].

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد كقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

الإعراض عن صريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿ ۞وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٠]، **أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر، تفخيماً لمقدار الجزاء، لما فيه من إبهام المقدار، وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه على حدّ «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله»، أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط، تنبيهاً على عظم ما يُنال، وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.**

<u>وتشبيه الحرف ضربان:</u>

يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ [النور: ٣٥]، **وقوله:** ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ٢٤ ﴾ [الرحمن: ٢٤].

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ٣٧ ﴾ [الرحمن: 37].

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ١٤ ﴾ [الرحمن: ١٤].

﴿ وَحُورٌ عِينٞ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ٢٣ ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد: ٢١].

أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد، ليكون ذلك علما على قوة التشبيه وتأكيده وكقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ٥٨ ﴾ [الرحمن: ٥٨].

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ٤٩ ﴾ [الصافات: ٤٩].

* * *

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنهما:

إما حسّيان، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس: ٣٩]، وقوله: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ [القمر: ٢٠].

أو عقليان، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾ [البقرة: ٧٤].

* * *

قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فإن إدراكهما ابلغ من إدراك الحاسة كقوله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾ [الصافات: ٦٥]، فشبَّه بما لا نشك أنه منكر قبيح، لما حَصَّل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين، وإن لم ترها عياناً.

ينقسم إلى مفرد ومركب:

وقوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقوله: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٥]، قال بعضهم: شبه الدنيا بالماء ووجه الشبه أمران:

أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به، فكذلك الدنيا.

الاستعارة

هى من أنواع البلاغة، وهى كثيرة فى القرآن. ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾[التكوير: 18]؛ وحقيقة <بدأ انتشاره> و <تنفس> أبلغ؛ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا، بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة.

وقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧]، لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه، ويزول عنه حال فحالاً، كذلك انفصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿ أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦ ﴾ [القلم: ١٦].

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ ﴾ [المدثر: ٥٠]، ويقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار.

وقوله: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ ﴾ [القيامة: ٢٩].

﴿ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ ﴾ [النازعات: ١٠]، أي في الخلق الجديد.

﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١]، والمراد حفظهم وما يحصل لهم.

التورية

وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه، وهي أن يتكلَّمُ المُتَكَلِّم بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد، ويريد المعنى البعيد، يوهم السامع أنه أراد القريب، مثاله قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ ﴾ [الرحمن: ٦]، أراد بالنجم النبات الذي لا ساق له، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب، لاسيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر.

وقوله: ﴿ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]، والمراد المعرفة.

وقوله: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ ﴾ [الغاشية: ٨]، أراد بها في نعمة وكرامة، والسامع يتوهم أنه أراد من النعومة.

تنبيه
[في الفرق بين التورية والاستخدام]

كثيراً ما تلتبس التورية بالاستخدام، والفراق بينهما أن التورية

استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر، وفي الاستخدام استعمالهما معا بقرينتين.

وحاصله أن المشترك إن استعمل في مفهومين معا فهو والاستخدام، وإن أريد أحدهما مع لمح (أشار إلى) الآخر باطناً فهو التورية.

ومثال الاستخدام قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ٣٨ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ [الرعد: ٣٨ - ٣٩]، فإن لفظة «كتاب»، يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب، وقد توسطت بين لفظتين، فاستخدمت أحد مفهوميها، وهو الأمد واستخدمت «يمحو»، المفهوم الآخر وهو المكتوب.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣]، فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة، وتحتمل إرادة موضعها فقوله ﴿ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ ﴾، استخدمت إرادة نفس الصلاة، وقوله: ﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾، استخدمت إرادة موضعها.

التجنيس

وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين، وإما بذيادة فى إحدى الكلمتين، وإما لا حق، بأن يختلف أحدا الحرفين، وإما فى الخط ، وهو أن تشتبها فى الخط لا اللفظ.

فقوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ٧٣ ﴾ [الصافات: 73-72]،

﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ٣٠ ﴾ [القيامة: 30-29]،

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ٨ ﴾ [العاديات: 8-7]،

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ٢٣ ﴾ [القيامة: 23-22]،

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [النساء: 83]،

﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ٨٠ ﴾ [الشعراء: 80-79]،

قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧]، قال: معناه: وما أنت مصدق لنا. فيقال: ما الحكمة في العدول عن الجناس، وهلا قيل: ؟وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين»، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟.

والجواب أن في «مؤمن لنا»، من المعنى ما ليس في «مصدق»، وذلك أنك إذا قلت: «مصدق لي»، فمعناه: قال لي: صدقت. وأما «مؤمن»، فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الأمن؛ فلهذا عدل إليه.

فتأمل هذا اللطائف الغريبة، والأسرار العجيبة فإنه نوع من الإعجاز!.

الطباق

<u>هو أن يُجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض، والسواد، والليل، والنهار. وهو قسمان: لفظيّ ومعنويّ،</u> كقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾ [التوبة: ٨٢]، طابق بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير.

ومثله: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾. [الحديد: ٢٣]

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا٤٤ ﴾ [النجم: ٤٣ - ٤٤].

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾ [الكهف: ١٨].

﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ١٠ ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل

عمران: ٢٦] الآية.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

المقابلة
[مباحث المقابلة]

وفيها مباحث:

في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب «المفاعلة»، كالمقابلة والمضاربة وهي قريبة من الطباق، والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالباً، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالباً.

والثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغيرها، ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة.

مثال مقابلة النظيرين، مقابلة السنة والنوم فى قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ ﴾ [البقرة: ١٧ - ١٨]، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ ﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ﴾ [القيامة: 32-31]، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ١١ ﴾ [النبأ: 11-10]، ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦٨ ﴾ [البقرة: 268].

قاعدة
فيما يتعلق بالسؤال والجواب

ومثال الزيادة في الجواب قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ

هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ ﴾ [طه: ١٧ - ١٨]، فإنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم يُحدثه الله في العصا؛ فينبغي أن ينبه لصفاتها، حتى يظهر له التفاوت بين الحالين.

وكذا قوله ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ ﴾ [الشعراء: 70 - ٧١]، وَحَسنه إظهارُ الابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها؛ ليزداد غيظ السائل.

وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ ﴾ [الأنعام: ٦٤]، بعد قوله: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا ﴾ [الأنعام: ٦٣] الآية، ولولا قصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدَّم، لقال: «ينجيكم الله».

فائدة

قيل: أصل الجواب أن يُعاد في نفس سؤال السائل، ليكون وفق السائل قال الله تعالى ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، و«أَنَا» في جوابه عليه السلام: هو «أنت» في سؤالهم.

قال: ﴿ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ ﴾ [آل عمران: ٨١]، فهذا أصله، ثم إنهم أتوا عوض ذلك محذوف الجواب اختصاراً؛ وتركاً للتكرار.

وقد يُحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره، كقوله تعالى ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ﴾ [يونس: ٣٤]، فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد، فتعيَّن أن يكون ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله ، وهو: ﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، فأجابهم الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ﴾، فترك ذكر السؤال.

ونظيره قوله تعالى : ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ [يونس: ٣٥].

فائدة

في أن أقل الأمم سؤالا أمة محمد عليه السلام.

نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما كان قوم أقلَّ سؤالاً من أمة محمد ، سألوه عن أربعة عشر حرفاً، فأجيبوا.

قال الإمام: ثمانية منها في البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ** عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، والباقي ستة فيها، هى آيه ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ** مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[البقرة: 215] ، ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ** عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[البقرة: 217] ، ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ** عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[البقرة: 219] ، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ **وَيَسْـَٔلُونَكَ** عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[البقرة: 220] ، ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ** عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة: 222]،﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ [الأنفال: ١].

في بني إسرائيل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥].

الخطاب بالشى عن اعتقاد والمخاطب دون ما فى النفس الأمر

كقوله تعالى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: 22]، وقعت إضافة الشريك إلى الله سبحانه على ماكانوا يقولون؛ لأن القديم سبحانه أثبته.

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: 165].

وقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: 49].

وقوله : ﴿ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: 87]، أى بزعمك واعتقادك.

وقوله : ﴿ أَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: 6].

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: 147].

وقوله : ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: 74].

وقوله : ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: 77].

أى أنكم لو علمتم قساوة قلوبكم، لقلتم إنها كالحجارة، أو أنها فوقها فى القسوة، ولو علمتم سرعة الساعة لعلمتم أنه فى سرعة الوقوع كلمح البصر أو أقرب عندكم.

وقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: 3] فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور.

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: 275]

قاعدة
[في ذكر الرحمة والعذاب في القرآن]

من أساليب القرآن، حيثُ ذكر الرحمة والعذاب، أن يبدأ بذكر الرحمة، كقوله تعالى: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ١٨]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]. وعلى هذا جاء قولُ النبي حكاية عن الله تعالى: «إنَّ رحمتي سبقت غضبي».

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيبا وزجراً.

ومنها قوله في سورة العنكبوت: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١]، لأنها في سياق حكاية إنذار إبراهيم لقومه.

ونحو ذلك في أواخر الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، لأنها في سياق ذكر معصية أصحاب السَّبت وتعذيبه إياهم، فتقديم العذاب مناسب.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ولم يقل: «ذو عقوبة شديدة»، لأنه إنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمة الله في الاجتراء على معصيته، وذلك أبلغ في التهديد، معناه:

لا تغتروا بسعة رحمة الله، فإنه مع ذلك لا يُرَدُّ عذابه.

قاعدة

[فيما إذا ذكر الاسم مرتين]

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال؛ لأنه إما أن بكونا معرفتين، أو نكرتين؛ أو الثانى معرفة والأول نكرة أو عكسه.

وقوله تعالى : ﴿ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦﴾ [الشرح: 6-5]

وقوله تعالى : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [غافر: 9]

وقوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ ﴾ [غافر: 17-16]

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ ﴾ [فصلت: 37]

وقوله تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن: 60]، فإن الأول هو العمل، والثانى الثواب.

أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن

لفظ «فعل»

من ذلك لفظ «فعل» كثيراً ما يجيء كناية عن أفعال متعددة، وفائدته الاختصار، كقوله تعالى ﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٩].

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٦٦].

وقوله: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤]، أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله.

وحيث أطلقتْ في كلام الله، فهي محمولة على الوعيد الشديد، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١].

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

[لفظ «كان»]

ومن ذلك الإخبار عن ذات الله أو صفاته بـ «كان»

* وكان للماضي الذي ما انقطعا *

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]، نبَّه بقوله: «كان» على أنه لم يزل منذ أوجد منطوياً على الكفر. ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إذا علمت هذا فقد وقع في القرآن إخبار الله تعالى عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ «كان» كثيراً، نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

فحيث وقع الإخبار بـ «كان» عن صفة ذاتية؛ فالمراد الإخبار عن وجودها.

وحيثُ وقع الإخبار بها عن صفة فعلية؛ فالمراد تارة الإخبار عن قدرته عليها في الأزل، نحو: كان الله خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً، وتارة تحقيق نسبتها إليه نحو: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وتارة ابتداء الفعل وإنشاؤه نحو: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، فإن الإرث إنما يكون بعد موت المورث، والله سبحانه مالك كل شيء على الحقيقة، من قبل ومن بعد.

وحيثُ أخبر بها عن صفات الآدميين؛ فالمراد التنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه، نحو: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ويدل عليه قوله ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]، أي: خُلِقَ على هذه الصفة، وهي مقدرة، أو بالقوة، ثم تخرج إلى الفعل.

وحيثُ أخبر بها عن أفعالهم، دلَّت على اقتران مضمون الجملة بالزمان، نحو: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أنها تدلُّ على وقوع الفعل فيما مضى من الزمان؛ فإذا كان فعلاً متطاولاً لم يدل دلالة قاطعة على أنه زال وانقطع، كقولك: كان فلان صديقي، لا يدلُّ هذا على أن صداقته قد زالت؛ بل يجوز بقاؤها، ويجوز زوالها.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٠١]، لأن عداوتهم باقية.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾. [المائدة: ١١٧]

وقال بعضهم: يدلُّ على أن خبرها كان موجوداً في الزمن الماضي، وأما في الزمن الحاضر فقد يكون باقياً مستمراً، وقد يكون منقطعاً؛ فالأول، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٩٦]، وكذا سائر صفاته، لأنها باقية مستمرة.

وكذا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧]، ومعناه: الانقطاع فيما وقع عليه العلم والحكمة، لا نفس العلم والحكمة.

مسألة

[في حكم «كان» إذا وقعت بعد «إن»]

وقد استعملت مع إن للاستقبال قال تعالى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وأما ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، إن أكن قلته، وكذا: ﴿إِن

كَانَ قَمِيصُهُۥ﴾ [يوسف: ٢٦]، «إن يكن قميصه».

مسألة
[في نفي «كان» وأخواتها]

إذا نفيت «كان» وأخواتها، فهي كغيرها من الأفعال وزعم ابن الطراوة: أنها إذا نفيت كان اسمها مثبتاً، والخبر منفيًّا. قال: لأن النفي إنما يتسلط على الخبر، كقوله تعالى ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية: ٢٥]، فالقول مثبت، والحجة هي المنفية، وما ذهب إليه غير لازم؛ إذ قد قرئ: «ما كان حجتُهم» بالرفع على أنه اسم كان، ولكن تأوَّله على أن «كان» ملغاة، أي: زائدة. تقديره: «ما حجتهم إلَّا».

وهذا إن ساغ له هاهنا، فلا يسوغ له تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فإنه قرئ بالرفع، ولا يمكن أن تكون هنا ملغاة.

* * *

[لفظ «جعل»]

ومن ذلك «جعل» وهي أحد الأفعال المشتركة التي هي أمهات أحداث وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل وأعمها فعل يقع على القول والهم وغيرهما ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

ودونه «عمل» لأنه يعم النية والهم والعزم والقول ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣]، أي: من صلاة وصدقة وجهاد.

ولجعل أحوال:

أحدها: بمعنى «سمَّى»، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ٩١ ﴾ [الحجر: ٩١]، أي: سموه كذباً، وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ١٩]، على قول، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا

يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢٧].

الثاني: بمعنى المقاربة، مثل: كاد وطفق، لكنها تفيد ملابسة الفعل والشروع فيه، تقول: جعل، يقول: وجعل يفعل كذا، إذا شرع فيه.

الثالث: بمعنى الخلق والاختراع، فتعدى لواحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، أي: خلقهما.

فإن قيل: ما الفَرْق بين الجعل والخلق؟.

قيل: إن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التصيير، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان، ويتعدى لمفعول واحد، لأنه لا يتعلق إلا بواحد، وهو المخلوق.

وأيضاً، فالخلق يكون عن عدم سابق، حيث لا يتقدم مادة ولا سبب محسوس، والجعل يتوقف على موجود مغاير للمجعول، يكون منه المجعول أو عنه، كالمادة والسبب.

ولا يرد في القرآن العظيم لفظ «جعل» في الأكثر مراداً به الخلق، إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه، أو شيئاً فيه محسوساً عنه، يُكَوِّن ذلك المخلوق الثاني، بخلاف «خلق»، فإن العبارة تقع كثيراً به عما لم يتقدم وجوده وجود مغاير، يكون عنه هذا الثاني، قال الله تعالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، وإنما الظلمات والنور عن أجرام توجد بوجودها، وتعدم بعدمها.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ [الرعد: ٣].

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ومعناه: صيرناه، لأن مريم إنما صارت مع ولدها عليه السلام، لما خلق من جسدها، لا من أب، فصار عند ذلك آية للعالمين، ومحال أنه يريد خلقناهما، لأن مريم لم تخلق، في حين خلق ولدها، بل كانت موجودة قبله، ومحال تعلق القدرة بجعل الموجود موجوداً في حال بقائه.

وقال بعضهم: قاعدة العرب في الجَعْل أن يتعدى لواحد، وتارة

يتعدى لاثنين؛ فإن تعدى لواحد لم يكن إلا بمعنى الخلق، وأما إذا تعدى لاثنين فيجيء بمعنى الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢]، وبمعنى التسمية: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

ويجيء بمعنى التصيير، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، أي: صيرناهما.

الرابع: بمعنى الاعتقاد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: ٦٢].

الخامس: بمعنى الحكم بالشيء على الشيء، يكون في الحق والباطل؛ فالحق كقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

والباطل، كقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ ﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية.

وبمعنى أوجب كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي أوجبنا الاستقبال إليها.

* * *

حَسِبَ

يتعدى لمفعولين، وحيث جاء بعدها أن الفعل كقوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ ﴾ [التوبة: ١٦]، ونظائره.

كاد

وللنحويين فيها أربعة مذاهب:

أحدها: أن إثباتها إثبات ونفيها نفي، كغيرها من الأفعال.

والثاني: أنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر.

والثالث: أن إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإذا قيل: «كاد يفعل»

فمعناه: أنه لم يفعله، بدليل قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وإذا قيل: «لم يكد يفعل» فمعناه: أنه فعله، بدليل قوله ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ٧١﴾ [البقرة: ٧١].

والرابع: التفصيل في النفي بين المضارع والماضي، فنفي المضارع نفي، ونفي الماضي إثبات، بدليل: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ٧١﴾ [البقرة: ٧١]، فإنها منفية مع إثبات الفعل لهم في قوله : ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

ووجّهه أيضاً إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانو أولا بُعَداء من ذبحا، بدليل ما ذكر الله عنهم من تعنُّتهم. وحصول الفعل إنما فهمناه من دليل آخر، وهو قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

والأقرب أن يقال: إنّ النفي واردٌ على الإثبات، والمعنى هنا: <وما كادوا يفعلون الذبح قبل ذلك>، لأنهم قالوا : ﴿أَتتخذُنا هزواً﴾ وغيرة ذلك من التشديد.

وقوله: ﴿ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴾ [النور: ٤٠]، مع أنه لم ير شيئاً.

والمختار هو الأول، وذلك لأن معناها المقاربة، فمعنى «كاد يفعل» قارب الفعل، ومعنى «ما كاد يفعل» لم يقاربه، فخبرها منفيّ دائماً.

قاعدة
في مجيء كاد بمعنى أراد

تجيء كاد بمعنى أراد، ومنه: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ [يوسف: ٧٦]، أى لم يُرِد أن يراها . ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ﴾ [طه: ١٥]، فيحتمل أن المعنى : أريد أخفيها، لكى تجزى كل نفس بسعيها. وعكسه، كقوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي: يكاد. وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ١٥ ﴾ [طه: 15].

رأى

إن كانت بصرية تعدَّت لواحد، أو علميه تعدَّت لاثنين، وحيث وقع بعد البصرية منصوباً كان الأول مفعولها، والثاني حالاً.

ومما يحتمل الأمرين، قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، فإن كانت بصرية كان «الناس» مفعولاً و«سكارى» حالاً، وإن كانت علمية فهما مفعولاها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾.
[الزمر: ٦٠]

فهذه الجملة اعني قوله ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، في موضع نصب، إما على الحال إن كانت بصرية، أو مفعول ثان إن كانت قلبية.

وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ [الأنعام: 6]، ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْ ﴾ [سبا: 9]، ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ ﴾ [النحل: 79]،

وأما <أرأيت> فبمعنى <أخبرني> ولا يذكر بعدها إلا الشرط ؛ وبعده الاستفهام، على التقدير والتأخير؛ كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ...﴾ [الأنعام: 46]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [المُلك: 30]، ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ [الماعون: 1]، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: 45]، فدخلها معنى التعجب.

عَلِم العرفانية

لا تتعلق إلا بالمعاني، نحو: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨].

فأما نحو قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقوله: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣]، فالتقدير: «لا تعلم خبرهم نحن نعلم خبرهم»، «فليعلمن الله صدق

الذين صدقوا وليعلمن الله نفاق المنافقين» فحذف المضاف.

وذكر ابن مالك أنها تختصُّ باليقين، وذكر غيره أنها تستعمل في الظن أيضاً، بدليل قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وله أن يقول: العلم على حقيقته. والمراد بالإيمان التصديق اللسانيّ.

ظَنَّ

أصلها للاعتقاد الراجح، كقوله تعالى: ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا﴾ [البقرة: 230].

وقد تستعمل بمعنى: اليقين؛ لأن الظنَّ فيه طرف من اليقين، لولاه كان جهلاً، كقوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦]، ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٠]، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٨]، ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [المطففين: ٤]، وللفرق بينهما في القرآن ضابطان:

أحدهما: أنه حيث وجد الظنَّ محموداً مثاباً عليه، فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعَّداً بالعقاب عليه، فهو الشك.

الثاني: أن كل ظن يتصل بعده «إن» الخفيفة فهو شك، كقوله: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢].

وكل ظن يتصل به إنّ المشددة؛ فالمراد به اليقين، كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٨].

والمعنى فيه: أنّ المشددة للتأكيد، فدخلت على اليقين، و«أنْ» الخفيفة بخلافها، فدخلت في الشك.

مثال الأول، قوله سبحانه: ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وقوله ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19].

مثال الثاني، فإن قيل: يرد على هذا الضابط قوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن

﴿لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨]. قيل: لأنها اتصلت بالفعل. ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [المائدة: 71] والحُسبان شك.

فتمسك بهذا الضابط، فإنه من أسرار القرآن.

شَعَرَ

ومنه: شَعَرَ، بمعنى: عَلِمَ، ومصدره: «شِعرة» بكسر الشين، كالفطنة. (وكانه مأخوه من الشعار، فهو نوع من العلم ولهذا لم يوصف به الله)

وقوله تعالى في صفة الكفار: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]، أبلغ في الذمِّ للبُعد عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون، فإن البهيمة قد تشعر بحيث كانت تحسّ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم.

وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾[البقرة: 154] ، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾[البقرة: 154]، ولم يقل: «لا تعلمون» لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء، علموا أنهم أحياء، فلا يجوز أن ينفي عنهم العلم ولكن يجوز أن يقال: ﴿لَّا تَشۡعُرُونَ﴾، لأنه ليس كلّ ما علموه يشعرون به، كما أنه ليس كل ما علموه يحسّونه بحواسّهم، فلما كانوا لا يعلمون بحواسّهم حياتَهم، وأنهم علموها بإخبار الله وجب أن يقال: ﴿لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ دون «لا تعلمون».

عسى ولعلَّ

من الله تعالى واجبتان. وإن كانتا رجاء وطمعاً في كلام المخلوقين؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والبارئ مُنَزَّه عن ذلك. والوجه في استعمال هذه الألفاظ أنَّ الأُمور الممكنة لما كان الخلقُ يشكّون فيها.

نسبة إلى الله تعالى، تسمى نسبة قطع ويقين ونسبة إلى المخلوق، وتسمى نسبة شك وظنّ، فصارت هذه الألفاظ، لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله، كقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وتارة بلفظ الشك بحسب ما هي عليه عند المخلوقين، كقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقوله: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]، وقد عَلِمَ الله حين أرسلهما ما يُفضي إليه حالُ فرعون، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع؛ فكأنه قال: انهضا (اقام-حرك) إليه وقولا في نفوسكما، لعله يتذكَّر أو يخشى.

وقال أيضاً: كلُّ ما وقع في القرآن من «عسى»، فاعلها الله تعالى، فهي واجبة. وقال قوم: إلا في موضعين، قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، ولم يطلقهن ولم يبدل بهن.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ [الإسراء: ٨]، وهذه في بني النضير، وقد سباهم النبي وقتلهم وأبادهم.

قال: وعسى ماضي اللفظ والمعنى، لأنه طمع، وذلك حصل في شيء مستقبل.

وقال: قوم ماضي اللفظ مستقبل في المعنى، لأنه أخبر عن طمع، يريد أن يقع.

* * *

اتَّخذ

قال تعالى: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، قال الفارسي: ولا أعلم «تخذت» يتعدَّى إلَّا إلى واحد.

وقيل: أصل «اتخذت»: «تخذت»، فأما اتخذت فعلى ثلاثة

أضرب:

أحدهما: ما يتعدَّى به إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٢٧].

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ ﴾ [الزخرف: ١٦].

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ﴾ [الفرقان: ٣].

﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: 17].

﴿ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ ﴾ [العنكبوت: 41].

﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ ﴾ [الأحقاف: 28].

﴿ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 148].

أخذ

تجيء بمعنى «غَصَب»، ومنه: «من أخذ قيد شِبْر من أرض طوق من سبع أرضين».

وبمعنى «عاقب»، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ [هود: 102]. ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴾ [القمر: 42]. ﴿ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [الأعراف: 94]. ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ [فاطر: 45]. ﴿ لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ [البقرة: 286].

وبمعنى «اعمل»، كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ [البقرة: ٦٣]، أي اعملوا بما أمرتم به وانتهوا عما نهيتهم عنه بجد واجتهاد.

سأل

تتعدَّى لمفعولين، كأعطى، ويجوز الاقتصار على أحدهما.
ثم قد تتعدَّى بغير حرف كقوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ

أَنفَقُواْۚ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقد تتعدى بالحرف إما بالباء كقوله: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾. [المعارج: ١]

وإما بـ «عن» كقولك: سل عن زيد وكذا ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾؛ [الأعراف: ١٦٣]

﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ [النساء: 32]

﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف: 45]

وَعَد

فعل يتعدَّى لمفعولين، يجوز الاقتصار على أحدهما كأعطيته، وليس كظننت، قال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ ﴾ [طه: ٨٠]، فـ «جانب» مفعول ثان، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه، أي: وعدناكم إتيانه، أو مُكْثاً (تكفل) فيه.

وأما قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ [طه: ٨٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فيحتمل انتصاب الواحد بالمصدر، أو بأنه المفعول الثاني، وسمَّى الموعود به الوعد، كالمخلوق الخلق.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٧]، و﴿ إِحۡدَى ﴾، في موضع نصب مفعول ثان، و﴿ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾ بدل منه، أي: إتيان إحدى الطائفتين، أو تمليكه، والطائفتان العير والنصر.

وأما قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤]؛ فالجملة في موضع جر صفة للنكرة وقد عاد الضمير فيها إلى الموصوف والفعل متعد إلى واحد.

وأما قوله تعالى: ﴿ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فلا يجوز أن يكون ثلاثين ظرفاً، لأن الوعد ليس في كلها، بل في بعضها،

فيكون مفعولاً ثانياً. قوله تعالى ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا ﴾ [المؤمنون: 35]، ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: 20] ، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ [المائدة: 9]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ [النور: 55]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ [ابراهيم: 22]

وَدَّ

وَدَّ بمعنى «تمنَّى» يستعمل معها «لو» و«إن»، وربما جُمع بينهما نحو: ودُّوا لو أن فعل، ومصدره: الودادة، والاسم منه: «وُدّ». وقد يتداخلان في الاسم والمصدر.

قوله تعالى ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾[النساء: 102]، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: 109]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا٩٦﴾ [مريم: 96].

أفعال التفضيل

فيه قواعد:

الأولى: إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بعضه، كقولك: زيد أشجع الأسود، وأجود السحب، فيصير المعنى: زيد أشجع من الأسود، وأجود من السحب؛ وعليه قوله تعالى: ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ١١ ﴾ [الجمعة: ١١]، و﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ٤٥﴾ [هود: ٤٥]، و﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أي: خير مِنْ كُلِّ مَنْ تسمى برازق، وأحكم من كل من تسمَّى بحاكم.

* * *

الثانية: إذا ذكر بعد «أفعل» جنسه، وواحد من آحاد جنسه، وجب إضافتُه عليه، كقولك: زيد أحسن الرِّجال، وأحسن رجل.

وإذا ذُكِر بعد ما هو من متعلقاته، وجب نصبه على التمييز، نحو: زيد أحسن وجهاً، وأغزر علماً.

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ ﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا ﴾ [الكهف: ١٩]، فقد أضيف إلى غير جنسه وانتصب.

وقد تأوَّل العلماء هذا حتى رجعوا به إلى جعل «أشد» لغير الخشية، فقال الزمخشري معنى: ﴿ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٧]، أي: مثل أهل خشية الله، أو مثل قوم أشد خشية من أهل خشية الله.

* * *

الثالثة: الأصل فيه الأفضلية على ما أضيف إليه؛ وأشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ ﴾ [الزخرف: ٤٨]، لأن معناه: ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها، فاضلة ومفضولة، في حالة واحدة.

* * *

الرابعة: قالوا: لا ينبني من العاهات: فلا يقال: ما أعور هذه الفرس! وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [الإسراء: ٧٢]، ففيه وجهان:

أحدهما: أنه من عَمَى القلب الذي يتولد من الضلالة، وهو ما يقبل الزيادة والنقص، لا من عَمَى البصر الذي يحجب المرئيات عنه.

وقد صرَّح ببيان هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ٤٦ ﴾ [الحج: ٤٦]. وعلى هذا فالأول اسم فاعل، والثاني أفعل تفضيل، من فقد البصيرة.

والثاني: أنه من عَمَى العين والمعنى: مَنْ كان في هذه أعمى من الكفار، فإنه يحشر أعمى، فلا يكون «أفعل تفضيل».

ومنهم مَنْ حَمَل الأَوَّلَ على عَمَى القلب، والثاني على فقد البصيرة.

* * *

الخامسة: يكثر حذف المفضول إذا دلَّ عليه دليل، وكان «أفعل»

خبراً، كقوله تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١].
﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

* * *

السادسة: قد يجيء مجرَّداً عن معنى التفضيل، فيكون للتفضيل لا للأفضلية.

ثم هو تارة يجيء مُؤَوَّلاً باسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢].

ومُؤَوَّلاً بصفة مشبهة، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

فـ «أعلم» هاهنا بمعنى: «عالم بكم»؛ إذ لا مشارك لله تعالى في علمه بذلك، «وأهون عليه» بمعنى: هيِّن؛ إذ لا تفاوت في نسبة المقدورات إلى قدرته تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

* * *

تنبيه
لفظ «سواء»

سواء: أصله بمعنى الاستواء، وليس له اسم يجرى عليه، يقال: استوى استواء، وساواه مساواة لا غير، فإذا وقع صفة كان بمعنى مستو، ولهذا تقول: هما سواء، هم سواء، كما تقول: هما عدل، وهم عدل، والسواء: التام، ومنه: درهم سواء، أي: تام.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً ﴾ [فصلت: ١٠]، أي: مستويات. ومن نصب فعلى المصدر، أي استوت استواء..

ويجيء السواء بمعنى الوسط، كقوله تعالى: ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أي: عدل، وهو الحق.

*   *   *

النوع السابع والأربعون
في الكلام على المفردات والأدوات

والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها.

ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها، وترجح استعمالها في بعض المحال على بعض بحسب مقتضى الحال.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤]، فاستعملت «على» في جانب الحق، و«في» في جانب الباطل، لأن صاحب الحق كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء، ظاهرة له الأشياء، وصاحب الباطل: كأنه منغمس في ظلام، ولا يدري أين توجه!.

وكما في قوله تعالى: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾ [الكهف: ١٩]، فعطف هذه الجمل الثلاث بالفاء، ثم لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو، فقال تعالى: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ [الكهف: ١٩]؛ إذ لم يكن التلطف مترتباً على الإتيان بالطعام، كما كان الإتيان منه مرتباً على التوجُّه في طلبه، والتوجُّه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث، بتسليم العلم له سبحانه.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فإنه يقال: أحسن بي وإليَّ، وهي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف عليه السلام «بي»، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها.

وقال: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ولم يقل: «في الأرض»، لأن عند الفناء ليس هناك حال القرار والتمكين.

وقال: ابن عباس: الحمد الله الذي قال: ﴿ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥]، ولم يقل: «في صلاتهم».

الهمزة

أصلها: الاستفهام، وهو طلب الإفهام وتأتي لطلب التصور والتصديق، بخلاف «هل» فإنها للتصوُّر خاصة. والهمزة أغلب دوراناً، ولذلك كانت أم الباب.

واختصَّت بدخولها على الواو، نحو: ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ ﴾. [البقرة: ١٠٠]

وعلى الفاء، نحو: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ [الأعراف: ٩٧].

وعلى ثم، نحو: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [يونس: ٥١].

و«هل» أظهر في الاختصاص بالفعل من الهمزة وأما قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ٩١ ﴾ [المائدة: ٩١]، و: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ١٤ ﴾ [هود: ١٤]، فذلك لتأكيد الطلب للأوصاف الثلاثة، حيث إن الجملة الاسمية أدلُّ على حصول المطلوب وثبوته، وهو أدلّ على طلبه من «فهل تشكرون»، «وهل تسلمون» لإفادة التجدد.

واعلم أنه يعدل بالهمزة عن أصلها، فيُتجوز بها عن النفي والإيجاب والتقرير، وغير ذلك المعاني السالفة في بحث الاستفهام مشروحة، فانظره فيه.

مسألة
في دخول الهمزة على رأيت

وإذا دخلت على «رأيت» امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب، وصارت بمعنى: «أخبرني»، كقولك: «أرأيك زيداً ما صنع؟»، في المعنى تعدَّى بحرف، وفي اللفظ تعدَّى بنفسه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [مريم: ٧٧].

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ١٠ ﴾ [العلق: ٩ - ١٠].

﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ١ ﴾ [الماعون: ١].

مسألة

[في دخول الهمزة على «لم»]

وإذا دخلت على «لم» أفادت معنيين:

أحدهما: التنبيه والتذكير، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ٤٥﴾ [الفرقان: ٤٥].

والثاني: التعجب من الأمر العظيم، كقولك: (ألم تر إلى فلان يقول كذا، ويعمل كذا!) على طريق التعجّب منه. وكيف كان فهي تحذير.

أم

حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل، نحو أزيد عندك أم عمرو؟.

وقيل : إنما تُشرِك بين المتعاطفين كا تُشرِك بينها <أو>.

وقيل : فيها معنى العطف. وهى استفهام كا لألف ؛ إلا أنها لا تكون فى أول الكلام لأجل معنى العطف.

وقيل : هى <أو> أبدلت [الميم] من الواو، ليحول إلى معنى. يريد إلى معنى <أو>.

وهي قسمان: متصلة ومنفصلة:

فالمتصلة: هي الواقعة في العطف، والوارد بعدها وقبلها كلام واحد، والمراد بها الاستفهام عن التعيين؛ فلهذا يُقدَّر بـ «أي»، وشرطها أن تتقدمها همزةُ الاستفهام، ويكون ما بعدها مفرداً، أو في تقديره.

* * *

واعلم أن المتصلة يصير معها الاسمان بمنزلة «أي» ويكون ما ذكر خبراً عن «أي»، فإذا قلت: أزيد عندك ؟أم عمرو؟ فالمعنى: أيهما عندك؟ والظرف خبر لهما.

ثم المتصلة تكون في عطف المفرد على مثله، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟، كقوله تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩ ﴾

[يوسف: ٣٩]، أي: أي المعبودين خير، وفي عطف الجملة على الجملة المُتَأَوَّلتَيْن بالمفرد، نحو: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة: ٧٢]، أي: الحال هذه أم هذه؟.

والمنقطعة إنما تكون على عطف الجمل، وهي في الخبر والاستفهام بمثابة «بل» والهمزة، ومعناها في القرآن: التوبيخ، كما كان في الهمزة، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [الزخرف: ١٦]، أي: بل أتخذ؟ لأن الذي قبلها خبر.

وقوله: ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [السجدة: ١ - ٢]، ثم قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [يونس: ٣٨]، تقديره: بل أيقولون؟، كذا جعلها سيبويه منقطعة، لأنها بعد الخبر.

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦]، تقديره: بل أتخذ؟ بهمزة منقطعة للإنكار، وقد تكون بمعنى «بل» من غير استفهام، كقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [النمل: ٦٠]، وما بعدها في سورة النمل.

إذا كانت بمعنى «بل» أن تكون عاطفة، كقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾ [الطور: ٣٠]، وقوله: ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠]، وقوله: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ [الزخرف: ٥٢]، بمعنى: «بل» وليس بحرف عطف، على قول أكثر المفسرين.

إذن

نوعان:

الأول: أن تدل على إنشاء السببية والشرط؛ بحيث لا يُفهم الارتباط من غيرها، نحو: «أزورك»، فتقول: «إذن أكرمك»، وهي في هذا الوجه عاملة تدخل على الجملة الفعلية، فتنصب المضارع المستقبل، إذا صُدِّرت، ولم تفصل، ولم يكن الفعل حالاً.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ

﴿ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فهي مؤكدة للجواب، وتربطه بما تقدم.

وذكر بعضُ المتأخِّرين لها معنى ثالثاً، وهي أن تكون مركبة من «إذا» التي هي ظرف زمن ماض ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً، لكن حذفت الجملة تخفيفاً، وأبدل التنوين منها، كما في قولهم: «حينئذٍ».

وليست هذه الناصبة المضارع؛ لأن تلك تختص به، وكذلك ما عملت فيه، ولا يعمل إلا ما يختص، وهذه لا تختص به، بل تدخل على الماضي، نحو: ﴿وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧]، ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، و: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٥].

إذا

نوعان: ظرف ومفاجأة.

وتجيء اسماً وحرفاً، فإذا كانت اسماً كانت ظرف مكان، وإذا كانت حرفاً كانت من حروف المعاني الدَّالة على المفاجأة، كما أن الهمزة تدل على الاستفهام.

ولا يجوز أن يكون في هذه الحالة ظرف زمان، لامتناع وقوع الزمان خبراً عن الجثة، وإذا امتنع أن تكون للزمان تعين أن تكون مكاناً. وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨]، فإذا الأولى ظرفية، والثانية مفاجأة.

وتجيء ظرف زمان وحق زمانها أن يكون مستقبلاً، نحو: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وقد تستعمل للماضي من الزمان، كـ «إذ» كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، لأن «قالوا» ماض، فيستحيل أن يكون زمانه مستقبلاً.

ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ [الكهف: ٩٣]، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١]، لأن الانفضاض واقع في الماضي.

وتجئ للحال كقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [الليل: ١ - ٢]، والتقدير: والنجم هاوياً، والليل غاشياً، والنهار متجلياً فـ «إذا» ظرف زمان، والعامل فيه استقرار محذوف في موضع نصب على الحال، والعامل فيها «أقسم» المحذوف.

* * *

الأولى: المفاجأة عبارة عن موافقة الشيء في حال أنت فيها،، قال تعالى: ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾ [الروم: ٣٦].

قالو : ولا تقع بعد <إذا> المفاجأة إلا الجملة الا سمية، وبعد <إذ> إلا الفعل الماضى.

* * *

الثانية: الظرفية ضربان: ظرف محض، وظرف مضمَن معنى الشرط.
فالأول: نحو قولك: راحة المؤمن إذا دخل الجنة.
ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ ﴾ [الليل: ١].

والضرب الثاني: يقتضي شرطاً وجواباً، ولهذا تقع الفاء بعدها على حد وقوعها بعد «إذ»، كقوله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وكذا كثر وقوع الفعل بعد ماضي اللفظ مستقبل المعنى، نحو: «إذا جئتني أكرمتك».

* * *

وتحصل أنها تارة ظرف لما يِستقبل وفيها معنى الشرط، نحو: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، وتارة ظرف مستقبل غير شرط، نحو: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦]، وتارة ظرف غير مستقبل، نحو: ﴿ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٩٢]، وتارة لا ظرف، ولا شرط، وتارة لا تكون اسم زمان، وهي المفاجأة.

إذ

ظرف لماضي الزمان، يضاف للجملتين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وتقول: «أَيَّدَك الله إذ فعلت»؟

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، فـ «ترى» مستقبل، و«إذ» ظرف للماضي، وإنما كان كذلك لأن الشيء كائن، وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله قد كان، لأن علمه به سابق، وقضاءه به نافذ، فهو كائن لا محالة.

وأجاز بعضهم مجيئها مفعولاً به، كقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ومنعه آخرون، وجعلوا المفعول محذوفاً، و«إذ» ظرف، عامله ذلك المحذوف، والتقدير: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ٧]، إذاً: واذكروا حالكم.

ونحوه قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، قيل: قال: له ذلك لمّا رفعه إليه.

وتكون بمعنى «حين»، كقوله: ﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ [يونس: ٦١]، أي: حين تُفيضون فيه.

وحرف تعليل، نحو: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ ﴾ [الزخرف: ٣٩]، ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١١].

أو

تقع في الخبر والطلب، فأما في الخبر فلها فيه معان.

الأول: الشك، نحو: «قام زيد أو عمرو».

الثاني: الإبهام، وهو إخفاء الأمر على السامع مع العلم به، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

الثالث: التنويع. كقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: أن قلوبهم تارة تزداد قسوة، وتارة ترد إلى قسوتها الأولى، فجيء بـ «أو» لاختلاف أحوال قلوبهم.

الرابع: التفصيل، كقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١]، أي: قالت اليهود: لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا الذين هم نصارى، وكذلك قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥].

الخامس: للإضراب كـ «بل»، كقوله: ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: ٧٧]، و ﴿مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، على حد قوله: ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

السادس: بمعنى الواو، كقوله: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ [المرسلات: ٥ - ٦]. وقوله تعالى : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [طه: ١١٣].

*   *   *

إن
المكسورة الخفية

ترد لمعان.

الأول: الشرطية، وهو الكثير، نحو: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾

[الأنفال: ٢٩]، ﴿ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ثم الأصل في عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط، كقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، وعيسى جازم بعدم وقوع قوله.

وقد تدخل على المتيقن وجوده إذا أبهم زمانه، كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقد تدخل على المستحيل، نحو: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾.[الزخرف: ٨١]

ومن أحكامها أنها للاستقبال وأنها تخلص الفعل له وإن كان ماضيا كقولك إن أكرمتني أكرمتك ومعناه إن تكرمني وأما قولهم إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس وقوله: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ [يوسف: ٢٦]، فقيل: معنى أكرمتني اليوم يكون سبب للإخبار بذلك.

مسألة

إن دخلت «إن» على «لم» يكن الجزم بـ «لم» لا بها، كقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وإن دخلت على «لا» كان الجزم بها لا بـ «لا»، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[هود: ٤٧]

*   *   *

الثاني: بمنزلة «لا» وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله في الأنعام: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٢٩]، بدليل ما في الجاثية: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقوله: ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٣]، ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]،وعلى الجملة الفعلية، نحو: ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [التوبة: ١٠٧]، ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وزعم بعضهم أن شرط النافية مجيء «إلَّا» في خبرها، كهذه الآيات، أو «لما» التي بمعناها، كقراءة بعضهم: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾

[الطارق: ٤]، بتشديد الميم، أي: ما كلّ نفس إلَّا عليها حافظ.

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يٓس: ٣٢].

* * *

بمعنى «لقد» في قوله: ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٩]، أي: لقد كنا، ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ١٠٨]، و﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦]، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ٩٧].

* * *

أن
المفتوحة الهمزة، الساكنة النون

ترد لمعان:

الأول: حرفاً مصدرياً ناصباً للفعل المضارع، وتقع معه في موقع المبتدأ، والفاعل، والمفعول، والمضاف إليه.

فالمبتدأ: يكون في موضع رفع، نحو: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والفاعل، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢].

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٨٢]، في قراءة من نصب جواب. وتقع معه موقع المفعول به، فيكون في موضع نصب، نحو: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس: ٣٧] ،﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا

دَآئِرَةٞۚ ﴾ [المائدة: ٥٢]، ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩].

ومنه في أحد القولين: ﴿ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي ﴾ [المائدة: ١١٧]، نصب على البدل من قوله: ﴿ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ ﴾.

والمضاف إليه، فيكون في موضع جر، كقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]، أي: من قبل إتيانك.

وإنما لم ينصب في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ ﴾ [يونس: ٢]، وإن كان المعنى: لوحينا، لأن الفعل بعدها لم يكن مستحقاً للإعراب، ولا يستعمل إلا أن تعمل فيه العوامل.

ومثله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ ﴾ [الإسراء: ٨].

وتكون في تأويل مصدر مرفوع إن كانت تامة كقولك عسى. أن ينطلق زيد ومثله: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

* * *

الثاني: مخففة من الثقيلة، فتقع بعد فعل اليقين وما في معناه، ويكون اسمُها ضمير الشأن، وتقع بعدها الجملة خبراً عنها، نحو: ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ [طه: ٨٩].﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ﴾ [المزمل: ٢٠].﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [المائدة: ٧١].﴿ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا١٦﴾ [الجن: ١٦].﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ١٠﴾ [يونس: ١٠].

* * *

إنَّ المكسورة المشددة

<u>للتأكيد نحو</u>: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ ﴾ [الأحزاب: ١]. **وسبق بيانه في نوع التعليل من قسم التأكيد.**

وبمعنى: «نعم» في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]**، فيمن شدد النون.**

وبمعنى: «اجل» كقوله تعالى ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ ﴾ [طه: 57]**. فتكون على هذا القول مصروفة إلى تصديق ألسنتهم فيما ادّعوه من السحر.**

أنَّ
المفتوحة المشددة

يجيء للتأكيد كالمكسورة، واستشكله بعضهم، لأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم تفد توكيداً، وهو ضعيف لما علم من الفرق بين «أن» و«الفعل» و«المصدر».

وقال في المفصل: «إن» و«أن »تؤكدان مضمون الجملة، إلا أن المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها، [والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد].

لأن وضع «إن» تأكيد للجملة من غير تغيير لمعناها. ولأنها قد تكون بمعنى: «لعل»، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وتلك لها صدر الكلام، فقصدوا إلى أن تكون هذه مخالفة لتلك في الوضع.

إنَّما

لقصر الصفة على الموصوف، أو الموصوف على الصِّفة، وهي

للحصر عند جماعة، كالنفي والاستثناء.

وفَرَّق البيانيون بينهما، فقالوا: الأصل أن يكون ما يستعمل له «إنما» مما يعلمه المخاطب ولا ينكره، كقولك: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لمن يعلم ذلك ويقرُّ به. وما يستعمل له النفي والاستثناء.

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهورَه، فيستعمل له «إنما»، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١]، فإن كونهم مصلحين منتفٍ فهو مجهول، بمعنى: أنه لم يعلم بينهم صلاح، فقد نسبوا الإصلاح إلى أنفسهم، وادَّعوا أنهم كذلك ظاهر جليّ، ولذلك جاء الرد عليهم مؤكداً من وجوه.

إلى

لانتهاء الغاية، وهي مقابلة «من».

واختلف في دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على مذاهب.

انه: لا تدخل إلا مجازاً، لأنها تدلُّ على غاية الشيء ونهايته التي هي حده، وما بعد الحد لا يدخل في المحدود، ولهذا لم يدخل شيءٌ من الليل في الصوم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]،

﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ ﴾ [النساء: ٢].

﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤].

مبينة لفاعلية مصحوبها، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾. [يوسف: ٣٣]

ولموافقة اللام، كقوله: ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ [النمل: ٣٣]، وقيل: للانتهاء، وأصله والأمر إليك.

وكقوله: ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥]، وموافقة «في» في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النازعات: ١٨]، وقيل: المعنى بل أدعوك إلى أن تزكي.

وزائدة، كقراءة بعضهم: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، بفتح الواو.

وقيل: ضمن «تهوي» معنى «تميل».

في قوله : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ [مريم:25]، وقوله : ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: 32] <إلى> حرف جرّ بالإجماع وظاهرها أنها متعلقة به < هُزِّيٓ >.

أَلَا
بالفتح والتخفيف

تأتي للاستفتاح، وفائدته التنبيه على تحقيق ما بعدها، ولذلك قلَّ وقوع الجُمَل بعدها إلا مصدرة، بنحو: ما يتلقى به القسم، نحو: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٢].

﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: ٥٤].

﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٨].

﴿ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ ﴾ [هود: ٨].

﴿ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ ﴾ [هود: ٥].

وتأتي مُرَكَّبة من كلمتين: همزة الاستفهام، ولا النافية.

والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، كقوله تعالى: ﴿ قَوۡمَ

فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١١].

وقوله: ﴿ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٧]، والتقدير: إنهم ليسوا بمتقين وليسوا بآكلين.

وللعرض وهو طلب بلين، نحو: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[النور: ٢٢]

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة: ١٣].

ألا
بالفتح والتشديد

مُرَكَّبة من «أن» الناصبة، و«لا» النافية، كقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ ﴾ [النمل: ٣١]، ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ٢٥].

ثم قيل: المشددة أصل، والمخففة فرع. وقيل: بالعكس.

وقيل: الهمزة بدل من الهاء.

إلاَّ

ترد لمعان:

الأول: الاستثناء: وينقسم إلى مُتَّصِل، وهو ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه، نحو: جاء القوم إلَّا زيداً. والى منقطع، وهو ما كان من غير جنسه.

وتقدر بـ «لكن» كقوله: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ [الغاشية: ٢٢ - ٢٣]، و ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾ [الفرقان: ٥٧].

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، في سورة الانشقاق.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ [الحج: ٤٠]، فقولهم: ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾، ليس بحق يوجب إخراجهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣]، فإن «من رحم» بمعنى: المرحوم ليس من جنس العاصمين، وإنما هو معصوم، فدلَّ على أنها بمعنى «لكن».

الثاني: بمعنى «بل»، كقوله تعالى: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ﴾ [طه: ١ - ٣]، أي: بل تذكرة.

الثالث: عاطفة، بمعنى «الواو» في التشريك، كقوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقوله: ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ۝ ﴾ [النمل: ١٠ - ١١]، أي: ومن ظلم. تأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النور: ٦]، فلو كان استثناء لكان من غير الجنس؛ لأن «أنفسهم» ليس شهوداً على الزنا، لأن الشهداء على الزنا يعتبر فيهم العدد، ولا يسقط الزنا المشهود به بيمين المشهود عليه.

الرابع: بمعنى «بدل» قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، أي: «بدل الله»، أي: عوض الله، وبه يخرج على الإشكال المشهور في الاستثناء، وفي الوصف بـ «إلا» من جهة المفهوم.

* * *

الخامس: للحصر، إذا تقدمها نفي:

إما صريح، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ﴾ [الحجر: ١١]، أو مقدر كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ﴾ [البقرة: ٤٥]، فإن «إلا» ما دخلت بعد لفظ الإيجاب إلا لتأويل ما سبق إلا بالنفي، أي: فإنها لا تسهل، وهو معنى «كبيرة»، وإما لأن الكلام صادق معها، أي: وإنها لكبيرة على كل أحد، إلا على الخاشعين، بخلاف ضربت إلا زيداً، فإنه لا يصدق.

*　*　*

السادس: مُرَكَّبة من «إن» الشرطية، و«لا» النافية، ووقعت في عدة مواقع من القرآن.

نحو: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٩].

﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣٣].

أَمَّا

المفتوحة الهمزة المشددة الميم

كلمة فيها معنى الشرط، بدليل لزوم الفاء في جوابها.

وفي إيرادها في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦]، إحماد عظيم للمؤمنين، ونعي على الكافرين، لرميهم بالكلمة الحمقاء.

والاسم الواقع بعدها، إن كان مرفوعاً فهو مبتدأ، كقوله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٠]، ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف: ٨٢].

وإن كان منصوباً، فالناصب له ما بعد الفاء على الأصح، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩ - ١٠].

وقرئ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧]، بالرفع والنصب، فالرفع بالابتداء، لاشتغال الفعل عنهم بضميرهم.

وتُذكر لتفصيل ما أجمله المخاطب، وللاقتصار على بعض ما ادَّعى.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾ [هود: ١٠٦]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨].

إمَّا
المكسورة المشددة

نحو: اشتر لي إما لحما وإما لبنا.

وكقوله تعالى: ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف: ٨٦].

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥].

وبمعنى الإبهام، نحو: ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦]، ﴿ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

وتكون بمعنى الشرطية، مُرَكَّبة من «إن» الشرطية، و«ما» الزائدة، وهذه لا تكرر.

والأكثر في جوابها نون التوكيد، نحو: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾. [مريم: ٢٦]

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٣].

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ [الأنفال: ٥٧].

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وإنما دخلت معها نون التوكيد، للفرق بينهما وبين التي للتخيير.

واختلف في قوله تعالى: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، للتخيير، فانتصاب «شاكراً» و«كفوراً» على الحال.

وقيل: التخيير هنا راجع إلى إخبار الله بأنه يفعل ما يشاء.

وقيل: حال مقيّدة، أى إما إن تجد عند هما الشكر، فهو علامة

السعادة، أو الكفر فهو علامة الشقاوة، فعلى هذا تكون للتفصيل.

الآن

اسم للوقت الحاضر بالحقيقة، وقد تستعمل في غيره مجازاً.

وقال قوم: هي حد للزَّمانين، أي: ظرف للماضي، وظرف للمستقبل. وقد يتجوّز بها عما قَرب من الماضي، وما يقرب من المستقبل.

وقال ابن مالك: لوقت حضر جميعه، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به، أو ببعضه، بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٩]، ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

أفّ

صوت يستعمل عند التكرُّه والتضجُّر، واختلف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فقيل: اسم لفعل الأمر، أي: كُفَّا، أو اتركا.

وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

وفسَّر صاحب الصحاح «أف»، بمعنى: «قذراً».

أنَّى

مشتركة بين الاستفهام والشرط، ففي الشرط تكون بمعنى «أين»، نحو: أنى يقم زيد يقم عمرو.

وتأتي بمعنى «كيف»، كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]، ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أي: كيف شئتم مقبلة ومدبرة.

وتجيء بمعنى «من أين»، نحو: ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ

هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقوله: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقرئ شاذاً: ﴿ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ﴾ [عبس: ٢٥]، **أي: «من أين»، فيكون الوقف عند قوله:** ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ ﴾ [عبس: ٢٤].

وتكون بمعنى «متى»، كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقوله: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، **ويحتمل أن يكون معناه من أين.**

والحاصل أنها للسؤال عن الحال وعن المكان.

أيان

قيل: اشتقاقه من «أي» «فعلان» منه، لأن معناه: أيّ وقت، وأيّ فعل، من أويت إليه، لأن البعض آو إلى الكلّ، متساند إليه وهو بعيد.

وقيل: أصله: أيّ أوان. (وقت-حين)

وهي في الأزمان، بمنزلة «متى» إلا أن «متى» أشهر منها، وفي «أيان» تعظيم.

ولا تستعمل إلا في موضع التفخيم، بخلاف «متى»، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢﴾ [النازعات: ٤٢]، ﴿ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾ [النحل: ٢١]، ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ ﴾ [الذاريات: ١٢]، ﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ

ﭐلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾ [القيامة: ٦].

وقال صاحب «البسيط»: إنها تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظم أمره.

إي

حرف جواب بمعنى «نعم»، كقوله تعالى: ﴿۞وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾ [يونس: ٥٣]، ولا يأتي قبل النهي صلة لها.

حرف الباء

أصله: للإلصاق، ومعناه: اختلاط الشيء بالشيء، ويكون حقيقة.

وقد جعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦].

* * *

وإما مع الفاعل، نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء: ٧٩]، فـ «الله» فاعل، وشهيداً نصب على الحال أو التمييز، والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال، أي: لتأكيد شدة ارتباط الفعل بالفاعل، لأن الفعل يطلب فاعله طلباً لا بد منه، والباء توصل الأول إلى الثاني، فكأن الفعل يصل إلى الفاعل، وزادته الباء اتصالاً.

وإما مع المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾. [البقرة: ١٩٥]

وقوله: ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، أي: تبذلونها لهم.

وقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: ١].

وقوله: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ [القلم: ٦]، جعلت «المفتون» اسم مفعول لا مصدراً، كالمعقول والمعسور والميسور.

وأما ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١]، فمعناه: تلقون إليهم النصيحة بالمودة. ﴿تُلْقُونَ﴾، معنى «ترمون»، من الرمي بالشيء.

وأما قوله: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، فليست زائدة، وإلا للحق الفعل قبلها علامة التأنيث، لأنه للنفس، وهو مما يغلب تأنيثه.

* * *

بَلْ

حرف إضراب عن الأول، وإثبات للثاني، يتلوه جملة ومفرد.

فالأول: الإضراب فيه، إما بمعنى ترك الأول والرجوع عنه بإبطاله، وتُسمى حرف ابتداءً، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، أي: بل هم عباد، وكذا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وإما الانتقال من حديث إلى حديث آخر، والخروج من قصة إلى قصة، من غير رجوع عن الأول، وهي في هذه الحالة عاطفة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨].

وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣]، انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهم منها.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل: ٦٥ - ٦٦]، ليست للانتقال، بل هم متَّصفون بهذه الصفات.

بَلَى

لها موضعان:

أحدهما: أن تكون رداً لنفي يقع قبلها، كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۢ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٢٨]، أي: عملتم السوء.

وقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣٨].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ثم قال: ﴿بَلَى﴾ [آل عمران: 76]، أي: عليهم سبيل.

* * *

والثاني: أن تقع جواباً لاستفهام، دخل عليه نفى حقيقة، فيصير معناها التصديق لما قبلها، كقولك: «ألم أكن صديقك!»، «ألم أحسن إليك!»، فتقول: بلى. أي: كنت صديقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨ - ٩].

ومنه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: 172]، أى أنت ربنا. فهى فى هذا الأصل تصديق لما قبلها، وفالأول رد لما قبلها و تكذيب.

وقوله: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الحديد: ١٤]، أي: كنتم معنا. ويجوز أن يقرن النفي بالاستفهام مطلقاً، أعم من الحقيقى والمجازي؛ فالحقيقي كقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ **بَلَىٰ** قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣ - ٤].

كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فإن

الاستفهام هنا ليس على حقيقته، بل هو للتقرير، لكنهم أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ «بلى».

ثُمَّ

للترتيب مع التراخي، وأما قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا **ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ**٨٢ ﴾ [طه: ٨٢]، والهداية سابقة على ذلك؛ فالمراد: ثم دام على الهداية، بدليل قوله: ﴿ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ **ثُمَّ** ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ **ثُمَّ** ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٩٣ ﴾ [المائدة: ٩٣].

وقد تأتي لترتيب الأخبار، لا لترتيب المخبر عنه، كقوله تعالى: ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ **ثُمَّ** ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ٤٦﴾ [يونس: ٤٦].

وقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ **ثُمَّ** تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ٩٠ ﴾ [هود: ٩٠].

وتقول: زيد عالم كريم ثم هو شجاع.

ثَمَّ المفتوحة

ظرف للبعيد بمعنى هنالك، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ **ثَمَّ** رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا٢٠ ﴾ [الإنسان: ٢٠].

وقرئ: ﴿ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ **ثُمَّ** ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ٤٦﴾ [يونس: ٤٦]، أي: هنالك الله شهيد، بدليل: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الكهف: ٤٤].

في قوله: ﴿**أَثُمَّ** إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ [يونس: ٥١]، معناه: أهنالك، وليست «ثم» العاطفة. وهذا وَهْم اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة.

حاشا

اسم يأتي بمعنى التنزيه، كقوله: ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٥١]، بدليل

قول بعضهم: «حاشاً لله» بالتنوين، كما قيل: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١]، من كذا، أي: «حاشا لله» ، بالتنوين، كقولهم رعيا لزيد.

وقراءة ابن مسعود: «حاشاً لله» بالإضافة، فهذا مثل: سبحان الله، ومعاذ الله.

وقيل: بمعنى جانب يوسف المعصية لأجل الله، وهذا لا يتأتى في: ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١].

حتى

ومن الدليل على دخول ما بعدها فيما قبلها، قوله صلى الله عليه وسلم : «كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس».

وقوله صلى الله عليه وسلم : «أريت كل شيء حتى الجنة والنار».

الفرق بينهما أن «حتى» تختص بالغاية المضروبة، ومن ثمَّ جاز: أكلت السمكة حتى رأسها، وامتنع «حتى نصفها» أو «ثلثها» و«إلى» عامة في كل غاية. انتهى.

ولانتهاء الغاية نحو: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ **حَتَّىٰ** مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥]، ﴿**حَتَّىٰ** يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

والتعليل، وعلامتها أن تحسن في موضعها: «كي» نحو: «حتى تغيظ ذا الحسد»، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ **حَتَّىٰ** نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ ﴾ [محمد: ٣١].

ويحتملها: ﴿**حَتَّىٰ** تَفِيٓءَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ **حَتَّىٰ** يَرُدُّوكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

قيل: وللاستثناء، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والظاهر أنها للغاية.

وحرف ابتداء أي: تبتدأ به الجملة الاسمية أو الفعلية، كقوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ** يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]. في قراءة نافع.

وكذا الداخلة على «إذا»، في نحو: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ونظائره، والجواب محذوف.

حيث

ظرف مكان. قال الأخفش: وللزمان، وهي مبنية على الضم تشبيها بالغايات، فإن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة، في قوله تعالى: ﴿ مِنۡ **حَيۡثُ** لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ [الأعراف: ٢٧]. ما بعد «حيث» صلة لها، وليست بمضافة إليه، يريد أنها ليست مضافة للجملة بعدها، فصارت كالصلة لها، أي: كالزيادة.

ومن العرب من يعرب «حيث» قراءة بعضهم: ﴿ مِّنۡ **حَيۡثُ** لَا يَعۡلَمُونَ١٨٢ ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

بالكسر.تحتملها، وتحتمل البناء على الكسر، وقد ذكروا الوجهين في قراءة: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ **حَيۡثُ** يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، بفتح الثاء.

دُون

نقيض «فوق»، ولها معان:

أحدها: من ظروف المكان المبهم؛ لاحتمالها الجهات الستّ.

وقيل: هي ظرف يَدلِّ على السُّفل في المكان أو المنزلة، كقولك: زيد دون عمرو.

وأما «دون» فتقصير عن الغاية.

لا يريد الغاية على الإطلاق، بل الغاية التي تكون بعدها، فإذا قلت: أنا دونك في العلم، معناه: أنا مقصِّر.عنك، وهو ظرف مكان متجوّز فيه، أي: أنا في موضع من العلم لا يبلغ موضتك . ونظيره : فلان فوقك فى العلم.

* * *

الثاني: اسم نحو: ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ والآية: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا

وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾ [النساء: ١١٧].

* * *

الظرفية، وعليها جاء قوله: ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ ﴾ [الجن: ١١]، قرئ بالرفع والنصب.

معناه أدنى مكان من الشيء.

ومن الدون للحقير، ويستعمل للتفاوت فى الحال ، نحو : زيدون عمرو، أى فى الشرف والعلم ، واتسع فيه، فاستعمل فى تجاوز حد، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوۡلِيَآءَ مِن **دُونِ** ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾ [النساء: 144]، أى لا يتجاوزون ولاية للمؤمنين ولاية الكافرين.

وقيل: إنه مشتق من <دون> فعل، بقال: دان بدون دونا، وأدين إدانة؛ والمعنى على الحقارة والتقريب. وهذا دون ذلك، أى قريب منه. ودون الكتب إذا جمعها؛ لأن جمع الأشيا إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها، ودونك هذا، أصله خذه من دونك، أى من أدنى منك فاختصر.

ذو وذات

بمعنى صاحب، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ [البروج: ١٥]، وقوله: ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾ [الرحمن: ٤٨]، ولا يستعمل إلا مضافاً، ولا يضاف إلى صفة، ولا إلى ضمير.

ذو بمعنى الصاحب تقتضى. شيئين : موصوفا ومضافا إليه؛ تقول : جاءنى رجل ذو مال، وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال، وللبنتين ذواتا مال، وللجماعة ذوات مال.

﴿ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود: 5]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]، أي: الحال بينكم، وأزيلوا المشاجرة، وتكون للإرادة والنية، كقوله:﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي: السرائر.

أواما (ذو) فإنك تقول فيها : ذوالمال، وذوالعرش، ايضاً ذوالعين، وذوالشهادتين هذا كله تفخيم للشىء وليس ذلك في لفظه (صاحب) وقوله تعالى :﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ [الأنبياء: 87]، فإضافه إلى <النون> وهو الحوت، وقال فى سورة القلم :﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم: 48]، قال والمعنى واحد، لكن بين اللفظين تفاوت كبير فى حسن الإشارة إلى الحالتين فإنه ذكر فى موضع الثناء عليه ذو النون ولم يقل صاحب النون، لأن الإضافة (ذى) اشرف من صاحب و لفظ النون اشرف من الحوت.

رُوَيْد

تصغير «رُود» وهو المَهْل، قال تعالى: ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٧]، أي: قليلا.

وإذا لم يتقدمها «أمهلهم»، كانت بمعنى «مهلا» ولا يُتكلم بها إلَّا مصغراً مأموراً بها.

ربّما

لا يكون الفعل بعدها إلا ماضياً؛ لأن دخول «ما» لا يزيلها عن موضعها في اللغة، فأما قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]، فقيل: على إضمار «كان»، تقديره: «ربما كان يود الذين كفروا».

السين

حرف استقبال، قيل: وتأتي للاستمرار، كقوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ ﴾ [النساء: ٩١].

وقوله: ﴿ ۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾، فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا بالاستقبال.

أفادت السين وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد، إذا قلت: سأنتقم منك.

في قوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، معنى «السين»، أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخرت إلى حين.

وتأتي زائدةد كقوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٥٢]، أي: تجيبون.

وقوله: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الشورى: ٢٦].

سوف

حرف يدل على التأخير والتنفيس، وزمانه أبعد من زمان السين؛ لما فيها من إرادة التسويف.

ومنه قيل: فلان يسوف فلاناً، قال تعالى: ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾.
[الزخرف: ٤٤]

وقال: ﴿ ۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فقرب القول.

وقال تعالى في سورة: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبأ: ١]، ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤ - ٥]، وفي سورة التكاثر: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣ - ٤].

وقوله: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦].

قلت: ولا بد من دليل على أن قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ [النساء: ١٧٥]، معبِّراً به عن معنى واحد.

وفَرَّق بين «سوف» و «سين» بأن «سوف» تستعمل كثيراً في الوعيد والتهديد، وقد تستعمل في الوعد. والأكثر في السين الوعد، وتأتي الوعيد.

مثال الوعيد: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٢]، و﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤].

وأمثالها في الوعد: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، لتضمنه الوعد والوعيد جميعاً؛ فالوعد لأجل المؤمنين والمحبين، والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين بكونهم أعزة عليهم وعلى جميع الكافرين.

مثال «الوعد»: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦].

ومثال «الوعيد»: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

على

للاستعلاء حقيقة، نحو: ﴿ وَعَلَيْهَا وَ**عَلَى** ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

أو مجازاً، نحو ﴿ وَلَهُمْ **عَلَيَّ** ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤].

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ **عَلَىٰ** بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وللمصاحبة، كقوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ **عَلَىٰ** حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ **عَلَىٰ** ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦].

وتأتي للتعليل، نحو: ﴿ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ **عَلَىٰ** مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، أي: لهدايته إياكم.

ونحو: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ **عَلَىٰ** مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: في ملك سليمان، أو في زمن سليمان، أي: زمن ملكه.

ويحتمل أن تتلوا ضمن معنى تقول فتكون بمنزلة: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤].

تنبيه

حيث وردت في حق الله تعالى، فإن كانت في جانب الفضل كان معناه الوقوع وتأكيده، كقوله: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٦].

عن

وتجيء للبدل، نحو: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة: ٤٨].

وللاستعلاء، نحو: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ **عَن** نَّفْسِهِۦ ﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ **عَن** ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، أي: قدمته عليه.

وقيل: على بابها، أي: منصرفاً عن ذكر ربي.

وللتعليل، نحو: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ ﴾ [التوبة: ١١٤].

بمعنى (بعد) نحو :﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [المؤمنون: 40]، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: 13]، بدليل ان فى مكان آخر ومن بعد مواضعه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: 19]،

بمعنى (من) نحو : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: 25]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ [الأحقاف: 16]، بدليل ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ [المائدة: 27].

* * *

عسى

للترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وتأتي للقرب والدنو، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، كل ما في القرآن من «عسى» على وجه الخبر فهو موحد، نحو: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٢١٦]، ووحد على «عسى الأمر أن يكون كذا»، ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ [محمد: 22].

عن بعض المفسرين أن «عسى» في جميع القرآن واجبة، إلا في موضعين في سورة بني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٨]، يعني بني النضير فما رحمهم الله، بل قاتلهم رسول الله وأوقع عليهم العقوبة.

وفي سورة التحريم: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، ولازمنه حتى قضى رسول الله .

* * *

عند

ظرف مكان، بمعنى «لدن» إلا أن «عند» معربة. وكان القياس بناءها لافتقارها إلى ما تضاف إليه، كـ «لدن» و«إذ» ولكن أعربوا «عند» لأنهم توسعوا فيها، فأوقعوها على ما هو ملك الشخص، حضره أو غاب عنه، بخلاف «لدن»، فـ «عند» بهذا الاعتبار أعم من «لدن»، ويستأنس له بقوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]، أي: من العلم الخاص بنا، وهو علم الغيب.

وقوله: ﴿إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ٨﴾ [آل عمران: ٨]، الظاهر أنها بمعنى «عندك»، وكأنها أعم من «لدن» لما ذكرنا، فهي أعم «من بين يدي».

وتفيد معنى القرب.

وإذا ثبت أن «عند» و«لدى»، للقرب فتارة يكون حقيقياً، كقوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ١٥﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]، وتارة مجازاً، إما قرب المنزلة والزلفى، كقوله: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وعلى هذا قيل: الملائكة المقربون.

أو قرب التشريف كقوله: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وقوله: «اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي كل ذلك عندي»، أي: في دائرتي، إشارة لأحوال أمته، وإلا فقد ثبتت له العصمة.

وتارة بمعنى الفضل، ومنه: ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرًا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ [القصص: ٢٧]، أي: من فضلك وإحسانك.

وتارة يراد به الحكم، كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ١٣﴾ [النور: ١٣].

وقد تكون «عند» للحضور نحو: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٤٠].

وقد يكون الحضور والقرب معنويين، نحو: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠]. ويجوز: وأنزل عندك.

غير

متى ما حسن موضعها «لا» كانت حالاً، ومتى حسن موضعها «إلا» كانت استثناء.

ويجوز أن تقع صفة لمعرفة، إذا كان مضافها إلى ضد الموصوف، بشرط أن يكون له ضد واحد، نحو: مررت بالرجل الصادق غير الكاذب،

لأنه حينئذ يتعرف.

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٧]، فإن الغضب ضد النعمة، والأول هم المؤمنون، والثاني هم الكفار.

وأورد عليه قوله تعالى: ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٧]، فإنه أضيف إلى الذين كانوا يعملون، وهو ضد الصالح، كأنه قيل: «الصالح».

وأجيب بأن الذين كانوا يعملون بعض الصالح فلم يتمحض فيهما.

الفاء

ترد عاطفة، وللسببية، وجزاء، وزائدة.

الأول: العاطفة، ومعناها: التعقيب، نحو: قام زيد فعمرو، أي: أن قيامه بعده بلا مهلة. والتعقيب في كل شيء بحسبه، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٣٦].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، والبأس في الوجود قبل الهلاك.

* * *

أن معنى: ﴿فَجَآءَهَا﴾، أنه لما شوهد الهلاك، علم مجيء البأس، وحكم به من باب الاستدلال بوجود الأثر.

أنها عاطفة للمفصل على المجمل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابًا ٣٧﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦]، فالتقدير: فإذا أردت فاكتفي بالسبب عن المسبب.

ونظيره: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ﴾

[الأعراف: ١٦٠]، أي: فضرب فانفجرت.

وأما قوله: : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، فقيل: الفاء في: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ﴾، وفي: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾، بمعنى «ثم» لتراخي معطوفها.

وتجيء لتفاوت ما بين رتبتين، كقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ٣﴾ [الصافات: ١ - ٣]، تحتمل الفاء فيه التفاوت رتبة الصفّ من الزجر، ورتبة الزجر من التلاوةد ويحتمل تفاوت رتبة الجنس الصافّ من رتبة الجنس الزاجر، بالنسبة إلى صفهم وزجرهم، ورتبة الجنس الزاجر من الجنس التالي بالنسبة إلى زجره وتلاوته.

* * *

في

تجيء لمعان كثيرة:

للظرفية:

ثم تارة يكون الظرف والمظروف حسيين نحو زيد في الدار،ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ٤١﴾ [المرسلات: ٤١]، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ٣٠﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠]، ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٩]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأحقاف: ١٨]، وتارة يكونان معنويين، نحو: رغبت في العلم، ومنه ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وتارة يكون المظروف جسماً، نحو: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠]، وتارة يكون الظرف جسماً، نحو: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، والأول حقيقة، والرابع أقرب المجازات إلى الحقيقة.

وتجيء بمعنى «مع»، نحو: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ ﴾ [الفجر: ٢٩] على قول.

وبمعنى «عند» نحو: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ [الشعراء: ١٨].

وللتعليل: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢].

وبمعنى على كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس: ٢٢]. بدليل قوله : ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. لما في الكلام من معنى الاستعلاء.

وبمعنى «إلى»، نحو: ﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩].

وبمعنى «من»: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٩].

وللمقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق، وفاضل لاحق، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

وللتوكيد، كقوله تعالى: ﴿ ٱرْكَبُواْ فِيهَا ﴾ [هود: ٤١].

* * *

وبمعنى بعد: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، أي: بعد عامين.

وبمعنى «عن»، كقوله: ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]، قيل: لما نزلت: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، لم يسمعوا ولم يصدقوا، فنزل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]. أي عن النعيم الذي قلناه ووصفناه في الدنيا فهو في نعيم الآخرة أعمى إذ لم يصدق.

قد

تدخل على الماضي المتصرف وعلى المضارع.

وتأتي لخمس معان: التوقع، والتقريب، والتقليل، والتكثير، والتحقيق.

* * *

معنى التوقع فيه أن «قد» تدلُّ على أنه كان متوقعاً منتظراً، ثم صار ماضياً، ولذلك تستعمل في الأشياء المترقبة.

إن قولـك: «قـد قعـد»، كلام لقـول ينتظـرون الخـبر. ومنـه قـول المؤذن: «قد قامت الصلاة»، لأن الجماعة منتظرون.

وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ [المؤمنون: ١]، لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله. و كذلك قوله تعالى ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: 1] ، لأنها كانت تتوقع إجابة الله تعالى لدعاءها.

وأما **التقريب**،

فإنها ترد لدلالة عليه مع الماضى فقط، فتدخل لتقربيه من الحال؛ ولذلك تلزم <قد> مع الماضى إذا وقع حالا، كقولة تعالى: ﴿ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأنعام: 119] ،

ان كان قريباً من زمن الحال دخلت عليه <قدواللام> كقولة تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأعراف: 59].

وأما **التقليل**،

فإنها ترد له مع المضارع، كقولة تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [النور: 64]. وكقولة تعالى: ﴿ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ ﴾ [الصف: 5]. قد معناها التوكيد كأنه قال تعلمون علما يقيناً لا شبهة لكم فيه.

وأما **التكثير**،

قولة تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [البقرة: 144].

وأما **التحقيق**،

فترد لتحقيق وقوع المتعلق مع المضارع والماضى كقولة تعالى: ﴿قَدۡ

﴿نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ﴾ [الأنعام: 33]، ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [البقرة: 144]، ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [النور: 64].

إن دخلت على الماضى اجتمعت لكل فعل متجدد، نحو: ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف: 90]، ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾ [آل عمران: 13]، ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: 18] ، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 117].

ولهذا لا تستعمل فى أوصاف الله، لا يقال: <قد كان الله غفورا رحيما>.

الكاف

للتشبيه، نحو: ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ٢٤ ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وهو كثير.

وللتعليل، كقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا ﴾ [البقرة: ١٥١]، قال : أي لأجل إرسالي فيكم رسولاً منكم، فاذكروني.

وهو ظاهر في قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وجعل ابن برهان النحوي منه قوله تعالى: ﴿ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ٨٢ ﴾ [القصص: ٨٢].

وللتوكيد: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١]، أي: ليس شيء مثله، وإلا لزم إثبات المثل.

ولتأكيد الوجود، كقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤]، أي أن تربيتهما لي قد وجدت كذلك أوجد رحمتك لهما يا رب.

كان

تأتي للمضي وللتوكيد وبمعنى القدرة كقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ [النمل: ٦٠]. أي: ما قدرتم.

وبمعنى «ينبغي»، كقوله: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ١٦﴾ [النور: ١٦]، أي: لم ينبغ لنا.

وتكون زائدة، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ ﴾ [الشعراء: ١١٢]. أي: بما يعملون، لأنه قد كان عالماً ما علموه من إيمانهم به.

وقد سبقت في مباحث الأفعال.

كأن

للتشبيه المؤكد ولهذا جاء: ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ [النمل: ٤٢]، دون غيرها من أدوات التشبيه.

ولليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ ﴾ [القصص: ٨٢]، على ما سيأتي.

وقد تخفف قال تعالى: ﴿ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾ [يونس: ١٢].

كأين

بمعنى «كم» للتكثير، لأنها كناية عن العدد، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الطلاق: ٨]. وفيها قراءتان «كائن» على وزن «قائل» و«بائع» و«كأين» بتشديد الياء.

كلا

قال سيبويه: حرف ردْع وزجْر.

قال الصفار: إنها تكون اسما للرَّد، ، إما لردِّ ما قبلها إما لردِّ ما بعدها، كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [التكاثر: ٣ - ٤]،

هي ردٌّ لما قبلها، لأنه لما قال: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ٢ ﴾ [التكاثر: ١ - ٢]، كان إخباراً بأنهم لا يعلمون الآخرة، ولا يصدقون بها، فقال: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ﴾ [التكاثر: ٣]، فلا يحسن الوقف عليها هنا، إلا لتبيين ما بعدها، ولو لم يفتقر لما بعدها، لجاز الوقف.

وقوله: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ٣ كَلَّا ﴾ [الهمزة: ٣ - ٤]، هي ردٌّ لما قبلها؛ فالوقف عليها حسن. انتهى. وقوله تعالى ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء:62-61] ، ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ١٩ ﴾ [العلق: 19] ، ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ٨٢ ﴾ [مريم: 82-81] ، ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١ ﴾ [الفجر: 21] ، ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: 15] .

كل

اسم وضع لضم أجزاء الشيء على جهة الا حاطة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29] ، أى بسطاتاما.

وقوله تعالى ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [آل عمران: 93].

وقوله تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ٩٥ ﴾ [مريم: 95].

وقوله تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠ ﴾ [الحجر: 30].

وقوله تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الفتح: 28].

وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ١٧٦ ﴾ [النساء: 176].

﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ [النساء: ١٢٩]. ونحوه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ٨٧ ﴾ [النمل: ٨٧]؛ فالتنوين بدل من المضاف، أي: كل واحد.

وأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [النحل: ٦٩]. ولم يقل: «من الثمرات كلها»؛ ففيه الحكمة السابقة، وتزيد فائدة، وهي: أنه قد تقدمها في النظم: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ ﴾ [النحل: ٦٧] الآية.

كلما

وتتصل <ما> ب <كل> نحو ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا ﴾ [البقرة: 25]. وهى مصدربة، لكنها نائبة بصلتها عن ظرف زمان، كا ينوبُ عنه المصدر الصريح، والمعنى : كل وقت.

إذا وصلت ب<ما> صارت أداةلتكرار الأفعال وعمومها قصدى، وفي الأسماء ضمنى. قال تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم ﴾ [النساء: 56].

* * *

كِلا و كِلْتا

هما توكيد الاثنين، وفيهما معنى الإحاطة، و <كلا> يستعمل في الاثنين لا الجمع. هي في التثنية، ككل في الجمع، ومفرد اللفظ مثنى المعنى، عبَّر عنه مرة بلفظه، ومرة بلفظ الاثنين، اعتباراً بمعناه، قال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قلت: لا خلاف أن معناها التثنية.

بدليل عود الضمير إليها مفرداً في قوله: ﴿ كلتا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ ﴾ [الكهف: ٣٣].

فالإخبار عن كلتا بالمفرد دليل على أنها مفرد إذ لو كان مثنى لقال آتتا ودليل إضافتها إلى المثنى في قوله: ﴿ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

كم

نكرة لا تتعرف؛ **<u>لأنها مبهمة في العدد</u>** ك «أين» في الأمكنة، و«متى» في الأزمنة، و«كيف» في الأحوال.

وقد تدخل عليها من كقوله: ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ [الأنبياء: ١١]، وقوله ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ ﴾ [يس: ٣١]، ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [النجم: ٢٦].

واعلم أن <كم> مفردة اللفظ، ومعناها الجمع؛ فيجوز فى ضمير ها ألامران بِلاعتبارين، قال تعالى : ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [النجم: 26]، ثم قال ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [النجم: 26]، فأتى به جمعا. وقال : ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ [الأعراف: 4]، ثم قال : ﴿ أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤ ﴾ [الأعراف: 4]

كيف

استفهام عن حال الشىء لا عن ذاته، ولهذا لا يجوز أن يقال فى <الله> <كيف>.

<u>كيف معنى التعجب والاستفهام:</u>

هذا أصلها في الوضع؛ لكن قد تعرض لها معانٍ تفهم من سياق الكلام، أو من قرينة الحال؛ مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما.

وعلى هذين تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٨].

كيف هنا استخبار لا استفهام، والفَرْقُ بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً.

وقال غيره: قد تأتي للنفي والإنكار، كقوله: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمًا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

ولتضمنها معنى الجَحْد شاع أن يقع بعدها «إلا»، كقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ ﴾ [التوبة: ٧].

وللتوبيخ، كقوله: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾

[آل عمران: ١٠١]، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨]. **وقوله** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: 41] ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45] ، ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: 50] ،﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: 6] ، ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [الروم: 48] .

اللام

قسمان: إمَّا أن تكون عاملة، أو غير عاملة.

القسم الأول
غير العاملة

وتجيء لعشرة معان: معرِّفة، ودالة على البُعْد، ومخففة، وموجبة، ومؤكدة، ومتممة، وموجهة، ومسبوقة، والمؤذنة، والموطئة.

* * *

فالمعرفة: التي معها ألف الوصل، وجعل منه: ﴿ رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٧]، وللإضمار: ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤١]، ولا خلاف أن الإضمار بعدها مراد.

والدالة على البُعْد الداخلة على أسماء الإشارة إعلاماً بالبعد، أو توكيداً له على الخلاف فيه.

* * *

والمخففة التي يجوز معها تخفيف إن المشددة، نحو: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤].

وتسمى لام الابتداء والفارقة، لأنها تفرق بينها وبين إن النافية.

والمخففة هي التي تحقق الخبر مع المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾.

[التوبة: ١٢٨]

* * *

والموجبة، بمعنى «إلا» عند الكوفيين، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ٣٢ ﴾ [يس: ٣٢]، ﴿ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ٣٥ ﴾ [الزخرف: ٣٥]، أي: ما كل، فجعلوا: «إن» بمعنى «ما» واللام بمعنى «إلا» في الإيجاب.

﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ٤٦ ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، بالرفع والمراد: وما كان مكرهم إلا لتزول منه.

والمؤكدة، وهي الزائدة أول الكلام وتقع في موضعين:

أحدهما: المبتدأ وتسمى لام الابتداء فيؤذن بأنه المحكوم قال تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ٨ ﴾ [يوسف: ٨]، ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الحشر: 13].

ثانيهما: في باب «إن» على اسمها إذا تأخر، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ [آل عمران: ١٣].

وعلى خبرها، نحو: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ١٤ ﴾ [الفجر: ١٤]، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ٧٥ ﴾ [هود: ٧٥]، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ١٢ ﴾ [البروج: ١٢]، فـ«إن» في هذا توكيد لما يليها، واللام لتوكيد الخبر.

* * *

والموجهة في جواب لولا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا٧٤ ﴾ [الإسراء: ٧٤]؛ فاللام في ﴿لَقَدْ﴾ [:]، توجه للتثبيت.

قوله ﴿ ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ ﴾ [الحج: 13]، ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء: 75]، فاللام هنا لتتميم الكلام. ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ

إِلَىٰ ذِى ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: 42]، ﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا ﴾ [الواقعة: 65]، ﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: 12]، ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: 15]، **فاللام في <لئن> مؤذنة.**

للملك الحقيقى كقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ ﴾ [الأعراف: 128]،

وقوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [البقره: 107]،

وقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الفتح: 4]،

والتمليك، كقوله تعالى ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ [مريم: 50]،

وللتخصيص كقوله تعالى ﴿ إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: 50]،

وللاستحقاق كقله تعالى : ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: 1]، ﴿لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 25]

وللولاية كقوله تعالى ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ [الروم: 4]،

وللتعليل وهى التى يصلح موضعها <من أجل> كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8]، **أى من أجل حب الخير.**

وقوله تعالى ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ [قريش: 1]، **وهى متعلقه بقوله :** ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ [قريش: 3].

وبمعنى <إلى> كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ [الرعد: 2]، **وبدليل قوله** ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ [إبراهيم: 10].

وقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: 47]،

وقوله تعالى ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ [النحل: 68]،

وقوله تعالى ﴿ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ [يونس: 92].

وقد تجىء معها <كى> نحو : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: 70]، و ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران: 153]

* * *

لا

أن تكون للنفي، وتدخل على الأسماء والأفعال.
فالداخلة على الأسماء تكون عاملة وغير عاملة.
تارة تعمل عمل «إنَّ»، وهي النافية للجنس، وهي تنفى ما أوجبته «إنَّ؛ فلذلك تشبّه بها في الأعمال، نحو: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٩٢]، ﴿ لَا مُقَامَ لَكُم ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل: ٦٢].

<u>قد تكون معرفة :</u>

كقوله ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: 40]،

قوله ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور: 35]،

قوله ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ ﴾ [البقره: 71].

<u>الأفعال المستقبله :</u>

كقوله ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [الحشر: 12]، و : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: 14]

<u>قد يكون للحال :</u>

كقوله : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: 1]، و ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 40]، و ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ

ٱلنُّجُومِ۝٧٥ ﴾ [الواقعة: 75]، و ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النساء: 65].

و تدخل على الماضى ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ۝٣١ ﴾ [القيامة: 31]، و ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ۝١١ ﴾ [البلد: 11].

أن تكون للنهى :

كقوله ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ [آل عمران: 28]،

قوله ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ ﴾ [آل عمران: 188]،

قوله ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ [الحجرات: 11].

أن تكون جوابيه :

كقوله ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: 172]،

* * *

لات

قال سيبويه: «لات» مشبهة بـ «ليس» في بعض المواضع، ولم تتمكن تمكنها، ولم يستعملوها إلا مضمراً فيها، لأنها كـ «ليس» في المخاطبة والإخبار عن غائب، ألا ترى أنك تقول: ليست وليسوا، وعبد الله ليس ذاهباً، فتبنى عليها، ولات فيها ذلك، قال تعالى: ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ۝٣ ﴾ [ص: ٣]، أي: ليس حين مهرب.

وكان بعضهم يرفع «حين» لأنها عنده بمنزلة ليس والنصب بها الوجه.

* * *

لا جرم

جاءت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها، ولم يجئ بعدها فعل.

الأول: «هود»: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود: ٢٢] وثلاثة في «النحل»: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: ٢٣]، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [النحل: ٦٢]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [النحل: ١٠٩]، والخامس في «غافر»: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [غافر: ٤٣].

وذكر اللغويون والمفسرون في معناها أقوالا:

أحدها: أن «لا» نافية ردّاً للكلام المتقدم، وجرم فعل، معناه: حق، و«أن» مع ما في حيزها فاعل، أي: حق، ووجب بطلان دعوته. فقوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾، معناه: أنه رد على الكفار وتحقيق لخسرانهم.

الثاني: أن «لا» زائدة، و«جرم» معناه: كسب، أي: كسب عملهم الندامة، وما في خبرها على هذا القول في موضع نصب، وعلى الأوَّل في موضع رفع.

الثالث: لا جرم، كلمتان ركبتا وصار معناهما حقاً، وأكثر المفسرين يقتصر على ذلك.

والرابع: أن معناها «لا بد»، و«أن» الواقعة بعدها في موضع نصب بإسقاط الخافض.

لو

على خمسة أوجه:

أحدها: الامتناعية، واختلف في حقيقتها.

وهي تسمى امتناعية شرطية، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وذكروا أن لها مع شرطها وجوابها أربعة أحوال:

أحدها: أن تتجرَّد من النفي، نحو: لو جئتني لأكرمتك، وتدل حينئذ

على انتفاء الأمرين، وسموها حرف وجوب لوجوب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ ۞وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ [التوبة: ٤٦].

وقوله: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزمر: ٥٧]، أي: ما هداني بدليل قوله بعده: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ [الزمر: ٥٩]؛ لأن بلى جواب للنفي.

الوجه الثاني : <لو> أن تكون شرطية، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب: 52]، و ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا ﴾ [يس: 66]، و ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 33] و ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: 17]، و ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: 20].

* * *

«لو» المصدرية، وعلامتها أن يصلح موضعها «أن» المفتوحة، كقوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦].

وقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج: ١١]، أي: الافتداء.

لولا

ويلزم في خبرها الحذف ويستغنى بجوابها عن الخبر والأكثر في جوابها المثبت اللام نحو: ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٣١]،﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

وقد يحذف للعلم به كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠].

* * *

الثاني: التحضيض، فتختص بالمضارع، نحو: ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ

اللَّهَ﴾ [النمل:46].

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ ﴾ [المائدة: ٦٣].

﴿ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ [المنافقون: ١٠].

والتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضي، نحو: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [النور: ١٣].

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام: 43]،

﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾ [التوبة: 122]،

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم ﴾ [النور: 16]،

﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ٨٣ ﴾ [الواقعة: 83]،

﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ٨٦ ﴾ [الواقعة: 86]،

﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ ﴾ [يونس: 98]،

﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [هود: 116]،

﴿ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ ﴾ [الكهف: 15].

﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ١٤٣ ﴾ [الصافات: 143].

* * *

لوما

هي قريب من «لولا»، كقوله تعالى: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]، هي بمعنى هلا.

لم

نفي للمضارع وقلبه ماضياً، وتجزمه، نحو: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ٣ ﴾ [الإخلاص: ٣].

ومن العرب من ينصب بها وعليه قراءة: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ١ ﴾ [الشرح: ١]، بفتح الحاء، وخرجت على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفةد

ففتح لها ما قبلها، ثم حذفت ونويت.

لما

على ثلاثة أوجه:

تدخل على المضارع، فتجزمه وتقبله ماضياً كـ «لم».

نحو: ﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [ص: ٨]، أي: لم يذوقوه: ﴿ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

لكنها تفارق «لم» من جهات:

أن «لم» لنفي فعل، و«لما» لنفي «قد فعل»؛ فالمنفي بها آكد. قال الزمخشري في «الفائق»: لما مركبة من «لم» و«ما» هي نقيضة «قد»، وتنفي ما تثبته من الخبر المنتظر.

أصل <لما> <لم> زيدت عليها <ما> فصارت نفياً.

أن منفي <لما> متوقع ثبوته، بخلاف منفى <لم> ألا ترى أن معني: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [ص: ٨]، أنهم لم يذوقو إلى الآن، وأن ذوقهم له متوقع.

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرات: ١٤]. ما في «لما» من معنى التوقع دالّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا ﴾ [هود: ٧٤]، قيل: الجواب ﴿وَجَاءَتْهُ﴾ []، على زيادة الواو.

وقيل: الجواب محذوف، أي: أخذ يجادلنا، وقيل: ﴿يُجَادِلُنَا﴾، مؤول بـ «جادلنا». ﴿ ۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: 57]، ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65]، ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف: 50]، ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [هود: 80]، جوابه محذوف أى لمنعتكم ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [الصافات: 103]، ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ [السجدة: 24]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ

إِلَّا نُفُـــورًا﴿٤٢﴾ ﴾ [فاطر: 42]. فإنما وقع جوابها بالنفى، لأن التقدير : فلما جاءهم نذير زادهم نفورا، أو ازداد نفورهم.

لن

صيغة مرتجلة للنفي، ومركبة من «لا» «وأن».

على كل قول؛ فهي لنفي الفعل في المستقبل؛ لأنها في النفي نقيضة السين وسوف وأن في الإثبات، فإذا قلت: سأفعل، أو سوف أفعل، كان نقيضه «لن أفعل».

وهي في نفي الاستقبال آكد من «لا»، وقوله تعالى: ﴿ فَلَـنْ أَبْـرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ [يوسف: ٨٠]. آكد من قوله: ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْـرَيْنِ ﴾ [الكهف: ٦٠].

وليس معناها النفي على التأبيد، خلافاً لصاحب «الأنموذج»، بل إن النفي مستمر في المستقبل، إلا أن يطرأ ما يزيله، فهي لنفي المستقبل، و«لم» لنفي الماضي، و«ما» لنفي الحال.

وقوله ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِـرَةُ﴾ [البقرة: 94]، وليست <لن> مع صيغ العموم؛ لأن <كان> لا تـدخل على حـدث؛ وإنما هى داخلة على المبتدأ والخبر، عبارة عن قصر الزمان الذى كان فيه ذالك الحدث؛ كأنه يقول : إن كان قد وجب لكم الدار الآخرة فتمنو الموت، ثم قال في الجواب : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾ [البقرة: 95]، فانتظم معنى الآتين. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص: 17].

لكن

للاستدراك مغففة و مثقلة؛ و حقيقة، رفع مفهوم الكلام السابق.

وقوله تعالى ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال: 43]. لكونه جاء في سياق <لو>، <ولو> تدل على امتناع الشيء لا متناع غيره. فعلم أن المعنى: ولكن الله ما أراكهم كثيرا اليسلمكم، فحذف

السبب وأقيم المسبب مقامه.

قال: وإذا دخل عليها الواو انتقل العطف إليها، وتجردت للاستدراك. المختار عند العرب تشديد النون إذا اقترنت بالواو، وتخفيفها إذا لم تقترن بها، وعلى هذا جاء أكثر القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ٣٣ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ١٣١ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ ﴾ [النساء: ١٦٦].

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ ﴾ [التوبة: ٨٨].

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [مريم: ٣٨].

وعلل الفراء ذلك بأنها مخففه تكون عاطفة فلا تحتاج إلى واو معها كـ «بل»، فإذا كان قبلها واو لم تشبه «بل»، لأن «بل» لا تدخل عليها الواو، وأما إذا كانت مشددة، فإنها تعمل عمل «إن» ولا تكون عاطفة.

وقد اختلف القراء في ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فأكثرهم على تخفيفها، ونصب «رسول» بإضمار «كان»، أو بالعطف على «أبا أحد»، والأول أليق، لكن ليست عاطفة، لأجل الواو، فالأليق لها أن تدخل على الجمل كـ «بل» العاطفة. بتشديدها على أنها عاملة، وحذف خبرها، أي: ولكن رسول الله هو، أي: محمد.

لعلّ

«لعل» طمع وإشفاق والخوف.

قال: ولعلَّ – وإن كان طمعاً – فإن ذلك يقتضي في كلامهم تارة طمع المخاطِب، وتارة طمع غيرهما، فقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ ﴾

[الشعراء: 40] ، فذلك طمع منهم في فرعون. وقوله ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: 44]، إطماع موسى وهارون، ومعناه: قولا له قولاً ليّناً راجِيَيْنِ أن يتذكّر أو يخشى. وقوله﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴾ [الشورى: 17] فإن الساعة مخوفة في حق المؤمنين.

وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ [هود: 12] ، أي تظنّ بك الناس.

وعليه قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ [الشعراء: 3] ، وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45] ، أي راجين الفلاح.

كما قال: كما قال: ﴿ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وزعم بعضهم بأنها لا تكون للترجي إلا في الممكن لأنه انتظار ولا ينتظر إلا في ممكن فأما قوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾ [غافر: ٣٦] الآية فاطلاع فرعون إلى الإله مستحيل وبجهله اعتقد إمكانه لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان تعالى الله عن ذلك.

للتعليل كقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥] أي كي.

﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ [طه: ٤٤] أي كي.

الاستفهام كقوله تعالى: ﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ [الطلاق: ١].

* * *

ليس

فعل معناه نفي مضمون الجملة في الحال، إذا قلت: ليس زيداً قائماً، نفيت قيامه في حالك هذه. وإن قلت: ليس زيد قائماً غداً لم يستقم، ولهذا لم يتصرف فيكون فيها مستقبلاً.

إنها لنفي مضمون الجملة عموماً وقيل مطلقاً حالا كان او غيره.

ورد الأول بقوله: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا ﴾ [هود: ٨]؛ وهذا نفي لكون العذاب مصروفاً عنهم يوم القيامة، فهو نفي في المستقبل.

فقال في قوله صلى الله عليه وسلم : «ليس صلاة أثقل على المنافقين» ففيه شاهد على استعمال «ليس» للنفي العام المستغرق به للجنس وهو مما يغفل عنه. ونظيره قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٦].

* * *

لدن

بمعنى «عند»، وهي أخصّ منها لدلالته على ابتدائها به، نحو: أقمت عنده من لَدُنْ طلوع الشمس إلى غروبها. فتوضّح نهاية الفعل وهي أبلغ من «عند»، قال تعالى: ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: ١٧].

﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦].

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥].

وقد سبق الفرق بينهما في «عند».

وقد تحذف نونها، قال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف: ٢٥].

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ٢٣].

* * *

ما

تكون على اثني عشر وجهاً: ستة منها أسماء وستة حروف:

[ما الاسمية]

فالاسمية ضربان: معرفة ونكرة؛ لأنه إذا حَسُن موضعها «الذي» فهي معرفة، أو «شيء» فهي نكرة؛ وإن حَسُنا معاً جاز الأمران، كقوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء: ٤٨]. و﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ٢٣].

والنكرة: ضربان ضرب يلزم الصفة، وضرب لا يلزمه، والذي يلزمه الاستفهامية والشرطية والتعجب، وما عداها تكون منه نكرة، فلا بد لها من صفة تلزمها.

* * *

فالأول من الستة: الأسماء الخبرية، وهي الموصولة، ويستوي فيها التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، كقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

وقوله: ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة: ٤] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [النحل: ٤٩]

فإن كان المراد بها المذكر كانت للتذكير، بمعنى «الذي»، وإن كان المراد بها المؤنث كانت للتأنيث بمعنى «التي».

ثم لفظها مفرد ومعناها الجمع، ويجوز مراعاتها في الضمير.

ونحوه من مراعاة المعنى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨]، ثم قال: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا ﴾ [يونس: ١٨]. لما أراد الجمع.

وكذلك قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ٧٣ ﴾ [النحل: ٧٣].

ومن مراعاة اللفظ: ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ [البقرة: ٩٣].

وأصلها أن تكون لغير العاقل، كقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: 116]، ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 5]، ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة: 32]، وربما كانت مصدراً بعد الباء نحو : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ١٦٢ ﴾ [الأعراف : 162].﴿ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ١٠ ﴾ [البقرة: 10]، ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الفتح: 11]،

وإن وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر، جاز فيها الخبر والاستفهام، كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ٣٣ ﴾ [البقرة: 33]، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ١٩ ﴾ [النحل: 19]، ﴿وَإِنَّكَ

﴿ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ٧٩ ﴾ [هود: 79]، ﴿ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ٨٩ ﴾ [يوسف: 89]، ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف: 9]، ﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ ﴾ [الحشر : 18]،

الشرطية، ولها صدر الكلام، ويعمل فيها ما بعدها من الفعل، نحو : ﴿ ۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ ﴾ [البقرة : 106]، ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة : 197]، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ١١٠ ﴾ [البقرة : 110]، ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ﴾ [فاطر : 2]،

و <ما> فى هذه المواضع فى موضع نصيب؛ وقوع الفعل عليها.

الاستفامية، بمعنى <أى شىء> ولها صدر الكلام كالشرط، ويُسأل بها عن أعيان مالا يعقل وأجناسه وصفاته، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم، قال تعالى : ﴿مَا هِيَ﴾ [البقرة : 70]، ﴿مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة : 69]، ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ١٧﴾ [طه : 17].

في حذف ألفها؛ فى قوله تعالى : ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ٤٣﴾ [النازعات: 43]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ١﴾ [التحريم: 1]، ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ٥٤﴾ [الحجر : 54]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ١ ﴾ [النبأ: 1]،

إثتبات الألف فى <ما> بعنى الاستفهام كقوله تعالى : ﴿قَالَ **فَبِمَآ** أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ١٦﴾ [الأعراف: 16]،

[ما الحرفية]

وأما الحرفية فستة.

الأول: النافية، ولها صدر الكلام. وقد تدخل على الأسماء والأفعال، ففي الأسماء كـ «ليس» ترفع وتنصب في لغة أهل الحجاز، ووقع في

القرآن في ثلاث مواضع: قال تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ ﴾ [المجادلة: ٢] على قراءة كسر التاء وقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ٤٧ ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وعلى الأفعال فلا تعمل، وتدخل على الماضي بمعنى «لم» نحو ما خرج، أي لم يخرج. وقوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ١٦ ﴾ [البقرة: ١٦].

وعلى المضارع لنفي الحال، بمعنى «لا»، نحو ما يخرج زيد، أي لا يخرج، نفيتَ أن يكون منه خروج في الحال.

قال: ويجوز أن تستعمل للنفي في الماضي والمستقبل عند قيام القرائن، قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ٣٥ ﴾ [الدخان: ٣٥]، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ٢٩ ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وهنا ضابط؛ وهو إذا ما أتت بعدها «إلا» في القرآن؛ فهي من نفي.

* * *

والثاني: المصدرية، وهي قسمان: وقتية، وغير وقتية.

فالوقتية هي التي تقدر بمصدر نائب عن الظرف الزمان، كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ﴿ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ ﴾ [المائدة: ٩٦]، أي مدة دوام السموات والأرض، ووقت دوام قيامكم وإحرامكم، وتسمى ظرفية أيضاً.

وغير الوقتية هي التي تقدر مع الفعل، نحو بلغني ما صنعت، أي صنعك، قال تعالى: ﴿ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ٧٧ ﴾ [التوبة: ٧٧]، أي بتكذيبهم أو بكذبهم على القرآن

وقوله: ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، و﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١].

* * *

مَنْ

لا تكون إلَّا اسماً لوقوعها فاعلة ومفعولة ومبتدأة، ولها أربعة أقسام متفق عليها: الموصولة، والاستفهامية، والشرطية، والنكرة الموصوفة.

* * *

فالموصولة، كقوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥].

* * *

والاستفهامية، وهي التي أشربت معنى النفي، ومنه: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:١٣٥]، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

ولا يتقيد جواز ذلك بأن يتقدمها الواو، خلافاً لابن مالك في «التسهيل»، بدليل: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* * *

والشرطية، كقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ [فصلت: ٤٦]، و﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

* * *

والنكرة الموصوفة، كقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ [البقرة: ٨]، أي فريق يقول. ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ٢٦ ﴾ [الرحمن: 26]، ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الرعد: 16]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾

[الحج: 18]، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: 17]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾ [النور: 45].

* * *

مِنْ

حرف يأتي لبضعة عشر معنى:

الأول: ابتداء الغاية إذا كان في مقابلتها «إلى» التي للانتهاء.

وذلك إما في اللفظ نحو سرت من البصرة إلى الكوفة وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١].

ويكون في المكان اتفاقاً، نحو: من المسجد الحرام.

وما نزّل منزلته، نحو: مِنْ فلان، ومنه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ [النمل: ٣٠]، وقولك: ضربت من الصغير إلى الكبير، إذا أردت البداءة من الصغير والنهاية بالكبير.

وفي الزمان عند الكوفيين، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]. فإن «قبل» و«بعد» ظرفا زمان.

* * *

الثاني: التبعيض، ولها علامتان أن يقع موقعها وأنّ يعم ما قبلها ما بعدها إذا حذفت، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ولهذا في مصحف ابن مسعود: «بعض ما تحبون».

وقوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فإنه كان نزل ببعض ذريته.

* * *

الثالث: بيان الجنس كقوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [النور: ٥٥]، أي الذين هم أنتم؛ لأنّ الخطاب للمؤمنين فلهذا لم يتصور فيها التبعيض.

وقوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النور: 43]،

لأن الجبال تكون بردً بغير برد

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [الكهف: 31] ، ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: 75] ، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ [فاطر: 2] ، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [البقرة: 106] ،﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ ﴾ [نوح: 25] ، ﴿ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزخرف: 60]، ﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: 116] ، ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ [الأنبياء: 42] ، ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: 34] ، ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَـٰمٌ ﴾ [القدر: 4-5] ، ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [النساء: 25]، ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾ [البقرة: 166].

* * *

مع

للمصاحبة بين أمرين لا يقع بينهما مصاحبة واشتراك إلا في حُكم يجمع بينهما، ولذلك لا تكون الواو التي بمعنى «مع» إلا بعد فعل لفظاً أو تقديراً لتصح المعيّة. وكمالُ معنى المعيّة الاجتماعُ في الأمر الذي به الاشتراك دون زمانه.

فالأول: يكثر في أفعال الجوارح والعلاج، نحو: دخلت مع زيد، وانطلقت مع عمرو، وقمنا معاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ

فَتَيَانِۖ ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا ﴾ [يوسف: ١٢]، ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ [يوسف: ٦٣]، ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ ﴾ [يوسف: ٦٦].

والثاني: يكثر في الأفعال المعنوية، نحو: آمنت مع المؤمنين وتبت مع التائبين، وفهمت المسألة مع من فهمها، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ٤٣ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

﴿ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ١٠ ﴾ [التحريم: 10].

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ٤٦ ﴾ [طه: 46].

﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ٦٢ ﴾ [الشعراء: 62].

﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: 40].

﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، **يعني الذين شاركوه في الإيمان، وهو الذي وقع فيه الاجتماع والاشتراك من الأحوال والمذاهب.**

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: 128]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ [الحديد: 4]

* * *

النون

للتأكيد، وهي إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين، أو شديدة فمنزلة تأكيده ثلاثاً، وأما قوله تعالى: ﴿ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ٣٢ ﴾ [يوسف: ٣٢]، **من حيث أكَّدت السجن بالشدة دون ما بعده إعظاماً.**

ولم يقع التأكيد بالخفيفة في القرآن إلا في موضعين: هذا، وقوله: ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ١٥﴾ [العلق: ١٥].

وفي القواعد أنها إذا دخلت على فعل الجماعة الذكور كان ما قبلها مضموماً، نحو: يا رجالُ أضربُنَّ زيداً، ومنه وقوله تعالى: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [آل عمران: ٨١]. ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ١٤٩ ﴾ [الأعراف: 149]، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ [الأعراف: 134].

*　*　*

الهاء

تكون ضميراً للغائب، وتستعمل في موضع الجر والنصب، نحو: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٧]. وتكون لبيان السكت. وتلحق وقفاً لبيان الحركة، وإنما تلحق بحركة بناء، لا تشبه حركة الإعراب، نحو: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ١٠ ﴾ [القارعة: ١٠]، وكالهاء في: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ ﴾ [الحاقة: ١٩]، و﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ ﴾ [الحاقة: ٢٠]، و﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ٢٩ ﴾ [الحاقة: ٢٩]، و﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ٢٨ ﴾ [الحاقة: ٢٨].

*　*　*

ها

كلمة تستعمل على ضربين:

أحدهما: أن تكون اسماً سمي به الفعل.

وثانيهما: للتنبيه ولها موضعان:

أحدهما: أن تلحق الأسماء المبهمة المفردة، نحو: هذا، وتتنزل منزلة حرف من الكلمة، ولهذا يدخل حرف الجر عليه كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

ويفصل به بين المضاف والمضاف إليه، كقوله: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦١].

الثاني: أن تدخل على الجملة كقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ١٠٩]، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]

* * *

هل

للاستفهام، قيل: ولا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن له فيه البتة؛ بخلاف الهمزة، فإنه لا بُدَّ أن يكون معه إثبات، فإذا قلت: أعندك زيد؟ فقد هجس في نفسك أنه عنده فأردت أن تستثبته؛ بخلاف «هل».

وقد سبق فروق في الكلام على معنى الاستفهام.

وقد تأتي بمعنى «قد»؛ كقوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [طه: ٩]، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١]، ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ [الإنسان: ١].

وذكر بعضهم أن «هل» تأتي للتقرير والإثبات، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥]، أي في ذلك قَسَم. وكذا قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، على القول بأن المراد آدم، فإنه توبيخ لمن ادّعى ذلك.

وتأتي بمعنى «ما» كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وبمعنى «ألا»، كقوله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ﴾ [الكهف: ١٠٣].

وبمعنى الأمر، نحو: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: ٩١].

وبمعنى السؤال: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠﴾ [قٓ: ٣٠].

وبمعنى التمني: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

وبمعنى «أدعوك»، نحو: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النازعات: ١٨]؛ فالجار والمجرور متعلق به.

هيهات

لتبعيد الشيء ومنه: ﴿۞هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦] البعد لما توعدون اى لأجله.

* * *

الواو

الواو العاملة

حرف يكون عاملاً وغير عامل؛
فالعامل قسمان: جار وناصب.
فالجار واو القَسَم، نحو: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣].
كقوله تعالى: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] على قراءة النصب.

الواو غير العاملة

وأما غير العاملة فلها معان:
فمن الأول: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة:2-1]؛ فإنّ الإخراجَ متأخر عن الزلزال؛ وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو.
ومن الثاني: ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، والركوع قبل السجود، ولم يُنقل أنّ شرعهم كان مخالفاً لشرعنا في ذلك.
وقوله تعالى مخبراً عن منكري البعث: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية: ٢٤]، أي: نحيا ونموت.
وقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧]، والأيام هنا قبل الليالي، إذ لو كانت الليالي قبل الأيام كانت الأيام مساوية للّيالي وأقلّ.
وقوله ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر: 11] ، ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المزمل: 11] ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102] ، ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [مريم: 20] ، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [البقرة: 267].

* * *

قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] بعد ما ذكر العدد مرتين

بغير واو.

وقوله تعالى في صفة الجنة: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]، بالواو لأنها ثمانية، وقال تعالى في صفة النار: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير الواو لأنها سبعة، وفُعِل ذلك فرقاً بينهما.

وقوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، بعد ما ذكر قبلها من الصفات بغير واو.

وقيل: دخلت فيه إعلاماً بأن الآمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره بالمعروف، فهما حقيقتان متلازمتان.

وليس قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] من هذا القبيل، خلافاً لبعضهم؛ لأن الواو لو أسقطت منه لاستحال المعنى لتناقض الصفتين.

* * *

الزيادة للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، بدليل الآية الأخرى.

وأجاز أيضاً في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فقال: الجملة في موضع جر صفة لـ «قرية».

وأما قوله: ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤]، فقيل: الواو زائدة، ويحتمل أن يكون مجزوماً جواب الأمر، بتقدير: أضرب به ولا تحنث. ويتحمل أن يكون نهياً.

وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: 21] ، ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 73]، انها زاؤدة للتأكيد. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ٤٦ ﴾ [الواقعة: 45-46] ، ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ١ ﴾ [الانشقاق: 1] ، ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ ﴾ [الانشقاق: 3] ، والواو زائدة، والمعنى أن وقت انشقاق السماء هو الوقت مد الأرض.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ﴾ [آل عمران: 140]، اى لنعلم، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾

[الأنعام: 75]، ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾ [الصافات: 103-104]، ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[آل عمران: 91].

* * *

ويكأن

كلمة تندّم وتعجب، قال تعالى: ﴿ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ ﴾ [القصص: ٨٢]، ﴿ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ ﴾ [القصص: ٨٢].

وقيل: إنه صوت لا يقصد به الإخبار عن التندم. ويحتمل أنه اسم فعل مسماه «ندمت» أو «تعجّبت».

قال المفسرون معناه: ألم تر، فإن أرادوا به تفسير المعنى فمسلّم، وإن أرادوا تفسير الإعراب فلم يثبت ذلك.

وقيل: بمعنى «ويلك» فكان ينبغي كسر «إن».

وقيل: «وي» تنبيه، وكأن للتشبيه وهو الذي نص عليه سيبويه.

ومنهم من جعل كأنّ زائدة لا تفيد تشبيها... ولم يثبت، فلم يبق إلا أنها للتشبيه، الأمر يشبه هذا، بل هو كذا.

ويل

«ويل» تقبيح، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقد توضع موضع التحسر والتفجع منه، كقوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١].

* * *

يا

لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، ومنه قول الداعي: يا الله؛ وهو ﴿أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [قٓ: ١٦]، استصغاراً لنفسه، واستبعاداً لها من مظان الزلفى.

وقد ينادى بها القريب إذا كان ساهياً أو غافلاً؛ تنزيلاً لهما منزلة البعيد.

وقد ينادى بها القريب الذي ليس بساهٍ ولا غافل؛ إذا كان الخطاب المرتب على النداء في محل الاعتناء بشأن المنادى.

وقد تحذف نحو: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ [يوسف: ٢٩]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ [يونس: ٨٨]، ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الزمر: ٩] في قراءة تخفيف «من»: إنّ الهمزة فيه للنداء، أي يا صاحب هذه الصفات.

تأتي للتأسف والتلهف، نحو: ﴿ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواۤ ﴾ [النمل: ٢٥] وقيل للتنبيه.

تمت النسخة المباركة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، ونسأل الله العظيم، ربّ العرش العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً بالفوز في جنات النعيم، والحمد الله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين والحمد الله رب العالمين.